مسألة الثورة الإيرانية

الدكتور محمد السعيد عبد المؤمن

أستاذ الدراسات الايرانية المساعد
جامعة عين شمس

١٩٨١

مسألة الثورة الايرانية

الدكتور محمد السعيد عبد المؤمن

أستاذ الدراسات الايرانية المساعد
جامعة عين شمس

بسم الله الرحمن الرحيم

قل اللهم مالك الملك ، تؤتي الملك من تشاء ، وتنزع الملك ممن تشاء ، تعز من تشاء ، وتذل من تشاء ، بيدك الخير ، إنك على كل شيء قدير .

صدق الله العظيم

آل عمران / ٢٦

الإهداء

إلى

وطن المفدى

أقدم تجربة من تجارب تاريخ الشعوب

مقـدمة

لا شك أن ثورة إيران الإسلامية . كما يسميها من قاموا بها — ظلت لفترة ليست بالقصيرة شغل العالم الشاغل بصفة عامة ودول العالم العربي بل والإسلامي بصفة خاصة ، وما زالت حتى تاريخ كتابة هذا البحث تلقى اهتماما واسعا على كافة المستويات السياسية والإجتماعية والدينية فى مختلف أنحاء العالم ، ولعل من أهم العوامل التى أعطت لهذه الثورة أهمية كبيرة على هذا النحو هو الأسلوب الذى قامت به والنجاح الذى حققته فى إنهاء عهد الملكية الطويل فى إيران وإقامة أول جمهورية إسلاميه فى تاريخها وكذلك الفكر الذى يوجهها والمسلك الذى تتبعه والذى أثار حولها الكثير من الجدل وجاب لها عدداً من الأصدقاء كما جلب عليها الكثير من الأعداء ، فإذا أضفنا إلى ذلك كله موقع إيران وأهميته الاستراتيجية والإسلامية واهتمام القوى الكبرى به ، مع وجود البترول الذى هو عصب الحياة والتقدم فى الغرب والشرق اتضح لنا أهمية مراقبة الأحداث على أرض إيران من جانب الجميع . وقد حاول كثير من الدارسين وغير الدارسين وغير الدارسين أن نقوموا هذه الثورة ويكتبوا عنها مدحا وقدحا ، تحليلا ونقداً ومنهم من أصاب بعض التوفيق ومنهم من جانبه الصواب إما نتيجة الأخذ بالظاهر من الأحداث أو عدم الفهم لأسس الفكر الشيعى وإما نتيجة هوى مغرض فى نفس الكاتب ، لذلك بقيت بين هذه الدراسات والكتابات حلقة بل حلقات مفقودة لأن هذه الثورة الإيرانية التى لم تستقر بعد تحمل فى مسيرتها عناصر النجاح والفشل وتكذب الأحداث المتلاحقة التى تمر بها نوعات المعلقين وتقلب افتراضات المحللين .

ومن هنا فإنى أؤكد أن هذا البحث لا يهدف أساسا إلى تقويم الثورة الإيرانية وإنما إلى توضيح منطلق الثورة وتحليل أبعادها واستقراء الأحداث التى مرت بها استنادا إلى الخلفية الحضارية لهذا الشعب دون تزيد فى التأصيل — لأن

الإنسان صانع الثورة هو نفسه صانع الحضارة ، ولا يمكن أن يكون مستقلا عن بيئته تمام الاستقلال كما أنه ليس تابعا لها تبعية كاملة ، كذلك لا يمكن أن يكون سيدها دون قيد أو شرط بل إن صلة الإنسان ببيئته صلة أخذ وعطاء ، ومن هنا فإن الدارس الذى هو جزء من الحاضر يستطيع تتبع الأحداث والوقائع وأن يقيم من خلال ذلك عملية مستمرة من التفاعل وحواراً لا ينتهى بين الحاضر والماضى من أجل وضع هذه التجربة التاريخية فى إطارها الصحيح بحيث يمكن الاستفادة منها الاستفادة الحضارية التى هى هدف العلم دائما ، فهذا البحث غاية فى ذاته ولا نهاية للحديث عن هذه الثورة وإنما محاولة متواضعة لدراسة هذه المرحلة من تاريخ إيران وحضارتها على أسس علمية سليمة ، والله الموفق .



تمهيد

يرى المؤرخون الإيرانيون على مر العصور إبتداء ممن كتبوا نقش بيستون وعمود قورش على الحجر مرورا بكارنامة اردشير وشاهنامه ثعالبى وفردوسى وتاريخ مشروطيت ومابينها وحتى كتاب ما قبل الثورة الإسلامية الأخيرة أن النظام الشاهنشاهى ليس شكلا لمحكم؛ وإنما هو مرآة للشخصية الإيرانية وركيزة من ركائز بقائها واستمرارها وأن هذا النظام له تقاليد وسنن خالدة بخلود إيران وشعبها . فإن كان من حق هؤلاء أن يؤكدوا ما شاءوا من ركائز قوميتهم ودوافع شعوبيتهم لايسع الدارس لتاريخ إيران وحضارتها منذ أقدم العصور إلا أن يميل إلى رأيهم ويقدر فكرتهم وإن كان يختلف معهم فى بعض ادعاءاتهم العنصرية وآرائهم الشعوبية ، حقيقة أن النظام الملكى أو بمعنى أدق النظام الإمبراطورى نظام يرتبط بأصالة الشعب الإيرانى وبما انطوت عليه شخصيته التاريخية بشكل لم يتوفر فى كثير من الشعوب وبصورة ينتفى معها إمكانية التفكير فى تغيير هذا النظام بشكل أو بآخر ، إلا أن الدارس المدقق يدرك أن بقاء هذا النظام مرتبط أيضا بأسلوب تطويره وقدرته على التفاعل مع الزمن والأحداث ومع تطور العقلية الإنسانية وللتدليل على هذا الأمر يمكن مناقشة أهم ملامح الشخصية الإيرانية خلال العصور المختلفة من خلال نقاط ارتكاز عبر تاريخ إيران الطويل كمدخل للحديث عن آخر ظاهرة فى تاريخ إيران الحديث والمعاصر .

لقد اصطلح المؤرخون على تقسيم تاريخ إيران إلى فترتين متمايزتين ، فترة لايمكن إنكارها فى حياة هذه الأمة الآرية رغم أن مصادر دراستها هى الأساطير والحكايات المروية المتناقلة بين الإيرانيين عبر الأجيال والتى لم يجد مؤرخو الإسلام الأوائل ، خاصة أولئك المتسبين إلى الموالى من العجم ـ بدءا من

تسجيلها فى كتبهم القيمة ، وهذه الفترة هي ما يسمى بالعهد الأسطورى تمييزا لها عن الفترة الأخرى من تاريخ إيران والتى أمكن تحديدها من خلال المصادر التاريخية المختلفه ، ويعنينا هنا من الإشارة إلى العهد الأسطورى هو فلسفة الشعب الإيرانى لهذا العهد بشكل يثبت فكرة النظام الامبراطورى ورسوخها فى الشخصية الإيرانية حيث تذكر كتب التاريخ المعتبرة وعلى رأسها تاريخ الطبرى فى العربية وحبيب السير لخواندمير فى الفارسية أن الفرس قد زعمت بأن كيومرث أول ملوكها هو آدم عليه السلام ، بل لقد ذهب الطبرى إلى أبعد من ذلك عندما أكد أنه جامر بن يافث بن نوح عليه السلام فى حين أكد خواندمير أنه قينان بن أنوش بن شيث بن آدم عليه السلام ، ولكن المؤكد لدى جميع المؤرخين أن كيومرث هو أول ملك حكم فى بلاد إيران وتنسب إليه الدولة البيشدادية ، ولاشك أن دعوى الفرس بأن كيومرث هو آدم عليه السلام إنما ترجع إلى رغبتهم فى إضفاء صفة القداسة على ملوكهم بحيث يرتبط التاريخ الملكى بالعقيدة الدينية إلى جانب إضفاء العظمة على الإيرانيين وتميزهم على غيرهم من الشعوب ، وتأكيد الذلك فقد صورت الأساطير فريدون سادس ملوك إيران الأسطوريين فى صورة نوح عليه السلام عندما قسم ملكه بين أبنائه الثلاثة سلم وتورو ايرج ، بل لقد ذهب الإيرانيون الى حد الادعاء بأن زردشت نبي الفرس هو رسول من قبل السماء وأن الديانة الزردشتية ديانة سماوية محتجين بالآية الكريمة « ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك ـ النساء ١٦٤ » بل أكد الطبرى تدعيما لهذا الزعم أن زردشت من أهل فلسطين ولايحتاج الدارس كثير عناء ليذكر أن فلسطين هى أرض الأنبياء ، وقد أكد علماء الديانات فى إيران أن الزردشتية كانت دين توحيد وإن اهورامزدا هو الإله المطلق وما اهريمن إلا ملك الظلمات عدو الخير على عكس مايعتقد الناس من أن الزردشتية هى دين الاثنينية أو عبادة النار بل إن التحريف فى هذا الدين ظهر فيما بعد على يد بعض الكهنة الجشعين ، ويؤكد المحدثون من مؤرخى إيران هذا الاتجاه الفكرى فى الحضارة الإيرانية ويبلور المؤرخ سيد محمد على

إمام شو شترى هذا بقوله : إن الشاهنشاهية سمة لها جوانب سماوية تجددت من قبل الله لتحقيق الحضارة والمدنية بين الناس ، وينفى أن تكون الشاهنشاهية مرادفة لكلمة الامبراطورية المتسمة بظلم الحكام وقهرهم مؤكدا أن فلسفة الحكم فى إيران قد اختلطت بالدين والأخلاق منذ قديم الزمان وقبل ظهور دين زردشت .

وإذا تجاوزنا العهد الأسطورى إلى التاريخ الحقيقى لإيران نجد أن للملك قورش مؤسس الدولة الأكمينية أو الهخامنشية منزلة خاصة لدى الإيرانيين ويرجعون إليه تكوين أول امبراطوريه حقيقيه للفرس ويبرزون من بين أعماله عمود قورش الذى نقش فيه اعلانه لحقوق البشر عند فتح بابل والذى أنهى به معاناة اليهود وآثار السبى البابلى ، وأهم ما فى هذا الإعلان بالنسبة للإيرانيين قوله إن الإله قد اختاره لحكم العالم ، أما نقش بيستون الذى أمر به دارا يبرزه الإيرانيون على أنه أهم آثار الدولة الأكمينية حيث كتب بثلاث لغات هى الفارسية القديمة والعيلامية والآشورية ويؤكد فيه دارا الأكبر أنه قد أصبح ملكا بفضل آهورا مزدا اله الخير ، ثم قدم فى نهاية نقشه هذه النصيحة لأخلافه : يامن ستتولى مقاليد الملك احترس من الكذب قدر استطاعتك .

والملاحظ أن المؤرخين الإيرانيين لم يحاولوا التعرض كثيرا لفترة حكم الاسكندر وملوك الطوائف من بعده على بلاد ايران باعتبار أن هذه الفترة فترة انحطاط فى تاريخهم القومى لما ألحقه الاسكندر من خراب ودمار فى ايران بعد اسقاط الامبراطورية الأكمينية التى كان أبوه يدفع لها الخراج ، فالشخصية الإيرانية التى لاترضى لنظامها الامبراطورى بالهزيمة والاندحار جعلت من الإسكندر ذا القرنين الموحد العابد الفارسى ابن الملك داراب وأخا للملك دارا ، فإذا رجعنا الى الملحمة القومية للفرس وهى الشاهنامه نجدها قد صورت الاسكندر على أنه الابن الأكبر للملك الايرانى داراب بن بهمن من أم يونانية ، فقد تزوج داراب أبنة الملك اليونانى فيلقوس غير أنه وجد فمها كريه الرائحة فردها الى أبيها

بعد أن حلت منه بالاسكندر ، وقد حذفت الشاهنامة من تاريخ الاسكندر وأعماله مايتعارض مع كونه ايرانيا مؤمنا بالدين الزردشتي كإحراقه الأفستا وتحطيمه معابد النار وقضائه على الديانة الزردشتية واقتصرت على تصوير حروبه وحملاته المختلفة التي استولى بها على بعض أجزاء العالم وابراز جانب البطوله في شخصيته بعد حصوله على الجنسية الايرانية ، وقد ذهب المؤرخ حسين علي ممتحن الى حد التأكيد على أن الاسكندر لم يستطيع أن يفرض حضارة اليونان على الايرانيين بل ان الحضارة الفارسية فرضت نفسها عليه ، فكان مقلدا للملوك الأكمينيين في نظام حكمه وفي كل شيء حتى عاداتهم وسلوكهم وملابسهم بل ان ثلاثة أرباع جنوده كانوا من الايرانيين .

وقد وجدنا مؤرخي ايران يشيدون بالامبراطورية الساسانية مرددين قول كريستنسن إن الملك الواقعي في ايران لم يكن مجرد رئيس سياسي للبلاد بل كان مرشدا لشعبه بالدرجة الأولى ولم يكن همه بناء الجسور وشق القنوات بل قيادة روح الشعب وفكره وأن تغير الأسرة الحاكمة لم يكن حادثا سياسيا فحسب ولكنه يعني ظهور روح جديدة في الدولة الايرانية ؛ ولعل مبعث هذا الزعم هو أن الدولة الساسانية قد وحدت ايران وبعثت القومية الايرانية وأحيت الديانة الزردشتية وجعلتها الدين الرسمي للدولة وماترتب على هذا من دعم الامبراطورية ووسعتها وقدرة الدولة على الصمود و التصدي للدولة الرومانية والحاقها الهزائم المتوالية بها بالاضافة إلى النهوض ببلاد ايران ورقيها . وإذا ناقشنا موقف خسرو برويز الامبراطور الساساني وارث ملك كسرى انوشيروان العادل من رسالة الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم التي يدعو فيها إلى الإسلام وتمزيقه لهذه الرسالة ودعاء الرسول الكريم عليه بأن يمزق الله ملكه كما مزق الرسالة واختلاف موقفه هذا الملك عن موقف المقوقس حاكم مصر وكلاهما يحكم شعبا له مقوماته الحضارية أدركنا مدى تأثير الشخصية الايرانية على ملوك ايران، وعندما استطاع العرب أن يقهروا هذه الشخصية ويسقطوا أكبر امبراطورية في

الشرق كان الدين الاسلامى الذى قدمه العرب للفرس عزاء لهم فى هذا الانكسار لأنهم وجدوا فيه تصحيحا لمسيرة الحضارة الايرانية .

على أن السياسة التى اتبعها الأمويون مع الموالى حملت الإيرانيين يعيدون النظر فى موقفهم من الخلافة الإسلامية ، وبدأت حركة الشعوبية التى قامت أساسا من أجل الإنتصاف للجنس أو للشعب وأخذ الفرس يفاخرون بأمجادهم وتراثهم وحضارتهم القديمة أمام الشعوب الإسلامية الأخرى وخاصة العرب وقد ساعدهم هذا على إحياء العصبية القومية والرغبة فى القيام بدور فعال ورئيسى ، ولا يستطيع دارس أن ينكر دور الفرس فى إسقاط الدولة الأموية وإقامة الدولة العباسية التى تمكنوا من النفوذ فيها وتوجيه سياستها وتغليب عناصر الحضارة الفارسية عليها بل لعلهم كانوا الحكام الحقيقيين خلال بعض فتراتها ، ومانكبه البرامكة فى حقيقة الأمر إلا صورة من صور محاولات بعض الخلفاء العباسيين التخلص من سيطرتهم وطغيانهم على الحكم ، والإيرانيون أيضا هم الذين قدموا كرسى الخلافة للمأمون وحصلوا بأنفسهم على جائزتهم المتمثلة فى تكوين أول دولة مستقلة فى معظم شئونها فى إيران وهى الدولة الطاهرية ، بل لقد بلغت الجرأة بيعقوب بن الليث الصفار مؤسس الدولة أن يرفض عتاب الخليفة له لعزل الطاهريين وتولية نفسه دون إذن منه ويخرج سيفه من تحت وسادته مؤكدا لرسول الخليفة أن سيفه هو الذى ولاه ولا حاجة به لإذن من الخليفة بل ويجرد جيشاً إلى بغداد لمحاربة الخليفة .

هذه الدويلات المستقلة التى قامت فى إيران لم تكن حركات خارجة على الخلافة العباسية فكثير منها قامت بموافقة الخليفة وإنما كانت تتويجا للجهود الإيرانية من أجل الاستقلال وعدم الذوبان فى الشعب الإسلامى الواحد ، ولعل أكبر دليل على ذلك هو إحياء اللغة الفارسية فى إيران بعد أن كانت اللغة العربية هى اللغة السائدة فى إيران طوال أكثر من ثلاثة قرون ، وإحياء اللغة لم يكن هدفا فى حد ذاته بقدر ما كان مظهرا لإحياء القومية الإيرانية والعصبية الشعوبية ، حيث سرعان ما نظم الفردوسى بالفارسية الخالصة ملحمته القومية الشاهنامة .

وإذا كان المغول قد جاءوا وقتلوا وحرقوا وسلبوا وذهبوا – على حد التعبير الفارسى – فقد استطاع الإيرانيون أن يدخلوهم الإسلام ويحكموا عن طريقهم بحكم قدرتهم على النفوذ فى نظم الحكم المختلفة والسيطرة عليها.

وقد قامت الدولة الصفوية فى إيران على أسس الحضارة الإيرانية القديمة من خلال عنصرين هما الوحدة الوطنية والمذهب الرسمى، وهما نفسهما ما قامت عليه الإمبراطورية الساسانية، وكان اختيار الدولة الصفوية المذهب الشيعى الأثنى عشرى مذهبا رسميا لإيران وسيلة لتحقيق الوحدة الوطنية بزعامتهم فقد أعلن المذهب قبل أن يتم للدولة السيطرة على محافظة كاملة من محافظات إيران، وقد كان الصفويون على حق فى هذه السياسة لأنهم رغم مخالفتهم لشعوب العالم الإسلامى التى تدين بمذهب السنة والجماعة وخاصة جيرانهم الأقوياء من الشرق ممثلين فى قبائل الاوزبك المقاتلة، ومن الغرب ممثلين فى الدولة العثمانية الفاتحة ودخولهم معهم فى حروب متصلة إلا أنهم حافظوا على وحدة إيران واستقلالها وتدعيم قوتها. والدارس لحضارة إيران فى عصر الدولة الصفوية يدرك أن ملوك هذه الدولة كانوا – بزعمهم – يحكمون بناء على تفويض إلهى باعتبار أن الملك هو وكيل للامام فإذا كان الإمام لا يخطىء باعتباره معصوماً – وفق العقائد الشيعية – فإن وكيل الإمام بالتالى معصوم من الخطأ لأنه يتلقى أوامره من الإمام المعصوم. والصفويون بذلك قاموا بإحياء السلطة المقدسة التى كان يتمتع بها ملوك إيران القدماء بمعنى أن الصفويين قد وجدوا من خلال المذهب الشيعى مبررا لاحياء نظام الامبراطورية الفارسية القديم بكل أبعاده، واستطاعوا من خلال ذلك أن أن يحيوا كثيرا من العادات والتقاليد الفارسية القديمة بعد صبغها بصبغة دينية مذهبية، ولا يخامر الدارس أدنى شك فى أن طبقة رجال الدين فى الدولة الصفوية كانت الطبقة العليا وحتى سقوط هذه الدولة حيث كانت تتمتع بالاضافة إلى الهيبة الدينية والسلطة الروحية بالنفوذ القوى فى الشئون المدنية والذى أتاحته لها طبيعة الدولة الصفوية وحاجتها إلى هذه الطبقة لدعم أساس قيامها، وقد نجح رجال الدين الشيعى فى مهمتهم كما نجحوا فى استغلال الموقف لصالحهم، وقد أثبتت

الدولة الصفوية عبر تاريخها أن الأساس الذى تقوم عليه الدول مهما بلغ ضعفه إزاء قوة ما حوله من أخطار تكمن فيه أسباب بقائه ، ومهمابلغت قوته أمام ضعف ما حوله تكمن فيه أسباب سقوطه .

إذا تابعنا عهد التدخل الأجنبى فى إيران خلال العصر القاجارى فإن الدارس لا يستطيع أن يجزم بأن انفتاح إيران على الغرب بشكل ملحوظ قد أثر فى معالم شخصيتها الحضارية فإن كان كثير من المثقفين الايرانيين قد تأثر بالحضارة الغربية وحاول نقلها إلى بلاده وحث بنى وطنه على الأخذ بها بالاضافة إلى الضغوط الاستعمارية للدول صاحبة المصلحة فى إيران إلا أن الشعب الايرانى الذى انطوت نفسه على قدسية القديم والاعتزاز بالماضى لم يدع مجالا لبقاء الحضارة الغربية بفكرها الدخيل مسيطرا عليه إلا بما يفيد رقيه وتطوره، وكان طبيعياً أن تنطلق الأفكار التحررية فى الثورة النيابية من أصالة هذا الشعب لا من خلال أفكار الثورة الفرنسية أو غيرها ، حقيقة أن أعداءها من الداخل والخارج قد انحرفوا بها عن غايتها وأن أصحاب النفوذ قد نسبوا إلى أنفسهم أمرها وإنجازاتها إلا أنها بدأت نقية أصيلة وقد أعاد أحمد كسروى تبريزى كتابة تاريخها الشعبى الأقرب إلى الحقيقة .

وإذا كان النظام السياسى فى إيران قد ظل نظاما ملكيا حاول المستعمر إفساده والسيطرة عليه إلا أن الدعوة إلى قيام نظام جمهورى فى إيران قد قد ضاعت أدراج الرياح بتأثير الشخصية الايرانية قبل كل شىء ، وما لبث رضا خان الذى ظهر من بين الطبقات الفقيرة وتولى زمام الأمور فى إيران أن توج نفسه إمبراطوراً على إيران دون أن يغير فى مفهوم الحكم ارتقاء به أو تطويراً له من خلال الأفكار الجديدة التى بدأت تظهر فى المجتمع الايرانى والتى كان من الممكن أن تجعل منه رئيساً للجمهورية لا إمبراطورا كرضا شاه أن يطور معنى القيادة فى الامبراطورية فترك لابنه محمد رضا تركة مثقلة بالأعباء ومنة كبيرة للاجانب عليه فترك للامبراطورية أساسا يحمل فى طياته عناصر سقوطها .

المبحث الأول

السياسة الإيرانية قبل الثورة

إن الدارس لتاريخ إيران وحضارتها لايسعه عند تناوله لقضية ثورة إيران الإسلامية إلا أن ينظر إليها من خلال بعدين، البعد الأول هو قيام الدولة الصفوية فى إيران سنة ٩٠٦ هـ سنة ١٥٠١م،فالدولة الصفوية هى التى أحدثت تلك التغييرات الجذرية فى الحضارة الإيرانية فكراً وعملا ، هى التى أحلت المذهب الشيعى الأثنى عشرى كمذهب رسمى للدولة محل المذهب السنى ، وجعلته المنطلق الوحيد للبناء الحضارى فيها ، وقد استتبع ذلك استلهام تلك الخلفية التاريخية للمذهب الشيعى منذ عهد على بن أبى طالب فى التفكير والتصرف فيما أعقب ذلك من عهود ولقد أعلنت جمهورية إيران الإسلامية من خلال أهم بنود دستورها المذهب الشيعى الأثنى عشرى مذهباً رسمياً للبلاد فى محاولة لإحياء ذلك الفكر بكل أبعاده واتجاهاته ومنطقة فى الحكم وبناء الحضارة ولا شك أن هذه المحاولة كانت الحلم العظيم الذى أصبح آية الله الخمينى زعيم الثورة الإيرانية وإمامها المختار يسعى من أجل تحقيقه ، ومن الواضح فى كتبه التى ألفها وأقواله التى نشرها أنه كان تلميذا نجيبا لأحد علماء الدولة الصفوية الكبار وهو محمد باقر المجلسى شيخ الإسلام والمسلمين فى عهد الملكين الصفويين سليمان وسلطان حسين ، هذا الشيخ الذى ألف موسوعته المذهبية الضخمة «بحار الأنوار» وكتب رسائله الذائعة الصيت حول فكر الشيعة فى مختلف المسائل الدينية والدنيوية قد حلم يوما أن يعيد بناء الدولة الصفوية بعد أن تداعى بناؤها ، وقد نجح فى ذلك إلى حد كبير ، وإن كانت الدولة الصفوية قد سقطت بعد وفاته بزمن قصير إلا أن سقوطها لم يكن يعنى فشله فى دعم الأسس التى تطيل بقاءها ولا يعنى قصر نظره وإنما شاء سوء حظه أن يظهر والدولة تلفظ أنفاسها الأخيرة،ولا يستطيع دارس أن ينكر أن الجهد الذى قام به المجلسى شىء عظيم حقا إلا أن الدوله كان مقضيا عليها بالموت ، ورغم ذلك فقد بقيت تعاليم المجلسى صامدة بعده واستطاعت أن تجعل جهود نادر شاه الذى حكم إيران بعد الدولة الصفوية تفشل فى إعادة المذهب السنى كمذهب رسمى لإيران . ولا شك أن إعجاب الخمينى فى كتبه ورسائله بالمجلسى وبموسوعته الكبيرة ورسائله المحكمة القوية يشير إلى الركن الأساسى الذى انطلق منه فكر الخمينى واسلوبه فى الدعوة للثورة الإسلامية فى إيران ، كما أن

الخميني بعد نجاح الثورة في القضاء على الملكية تابع خطوات هذا العالم الشيعي الكبير التي قام بها من أجل أن يكون لرجال الدين اليد الطولى والرأى الحاسم في الحكم والإدارة بناء على شرعية مكانتهم وفق اصول المذهب الشيعي .

أما البعد الثاني فهو أزمة تأميم البترول في إيران إعتباراً من سنة ١٩٥١ م وما صاحبها من أحداث فإن وضع إيران في تلك الفترة داخليا وخارجيا هو الذي وجه فكر الشاه ودفعه لأن يمضي في الطريق الذي قاده لهذه النهاية .

على أن هذا البعد الثاني كان في حد ذاته مقدمة لأحداث الثورة الأخيرة ، فرغم ما ساد إيران من هدوء واستقرار خلال الأعوام التي تلت أحداث تأميم البترول إلا أنه كان الهدوء الذي يسبق العاصفة ، فإذا كان البعد الأول يمثل منطلقا معنوياً للفكر الثوري فإن البعد الثاني يمثل بداية حقيقية لأحداث أدت إلى انهيار النظام الملكي الحاكم وقيام الثورة الإسلامية ، ومن هذا الواقع الملموس يمكن للدارس تتبع السياسة الإيرانية قبل الثورة :

أسلوب الشاه في الحكم :—

قال الشاه محمد رضا بهلوى في حديث صحفي أجراه معه الصحفي أنيس منصور بعد إستقراره في القاهرة فور قيام الثورة : إن هناك إرادة ماشاءت أن أخرج من إيران ، أرادوا أن أخرج لأني كنت مستقلا في تفكيري وتدبيري ورسم مستقبل بلادي ولعلي كنت مستقلا أكثر مما يجب ، إنني الآن أرى كل شيء بوضوح ، أرى كل أخطائي ، ومن بين أخطائي المميتة أنني صدقت الغرب كالأعمى وأنني أخذت قضية صداقة الغرب شيئا مسلما به ، لقد كنت أعمى ، وبعد أن استسلمت لهذه الصداقة ذهبت بسرعة إلى ما تمنيته لبلادي ، أعطيت بلادي أكثر وأكبر مما تقدر على هضمه »(١) والواقع أن الدارس يميل إلى تصديق حديث الشاه لاشتماله على إعتراف

---

(١) مجلة أكتوبر العدد ١٩٢ بتاريخ ٢٩ يونية سنة ١٩٨٠ م (طبع القاهرة) .

صحيح وهو استقلاله الـكامل فى الفـكر والعمل دون حساب دور القوى الـكبرى المحيطة به أو دور الشعب صاحب المصلحة الحقيقية ، فلقد بدأت الحركة الثورية لتأميم البترول من مدينة قم بزعامة رجل الدين القوى آية الله أبو القاسم الـكاشانى عندما أطلق صيحته المشهورة « أيها الـكلاب الإنجليز اتركوا لنا بترولنا واخرجوا من بلادنا » ثم قام على رأس مظاهرة عارمة قاصدا البرلمان الذى كان يناقش قضية التأميم ، وقد ألهبت هذه المظاهرة حماس نواب المعارضة وعلى رأسهم نواب الجبهة الوطنية حيث وقف النائب أشتيانى زاده على منبر مجلس النواب يقول : أيها الزملاء المحترمون ، إذا كنا قد آمنا بالنظام الملـكى فليس ذلك من أجل شخص صاحب الجلالة الشاهانية محمد رضا بهلوى ، لقد آمنا بهذا النظام لأسباب متعلقة بالظروف السياسية والوضع الجغرافى لهذه البلاد ، ولـكن ليعلم الشاه أن حكم إيران يجب أن يـكون لنا وحدنا ، إننا نحن نواب الأمة نمالك ولا أحد سوانا أن نعين رئيس الوزراء وليفهم صاحب الجلالة الشاهانية أن بقاءه على عرشه رهين بإتباعه لأحكام الدستور إننا نحن الذين نمثل مصالح الأمة ونحن المسئولون عن توجيه مستقبلها ، ولذلك فإن الإمبراطور وهو غير مسئول يجيب أن يمتنع عن التدخل فى شئون السياسة »(١) .

لقد كانت هذه الـكلمة تمثل وجهة نظر المعارضة فالملك يملك ولا يحـكم ، ولـكن الشاه تجاهل ذلك فى حين بقيت تلك هى وجهة نظر المعارضة فى السنوات الأخيرة حيث يقول على أصغر مظهرى عضو مجلس النواب عن كرمان وأحد زعماء المعارضة فى آخر دورة برلمانية قبل الثورة : « إنه لا يمـكن رسم مستقبل إيران بدقة مالم تلتزم الحكومة والنظام بالدستور وحتى لا تؤدى الفوضى إلى حرب أهلية لا تحمد عقباها » .(٢) ولقد كان قبول شابور بختيار تولى السلطة التنفيذية فى

---

(١) محمد حسنين هيكل : إيران فوق بركان ص ١٠٣ [نقلها من مضابط المجلس] .

(٢) صحيفة كيهان العدد ١٠٥٩٣ بتاريخ أول آيار سنة ١٣٥٧ هـ . ش .

إيران قبل قيام الثورة وهو الرجل الثانى فى الجبهة الوطنية المعارضة للنظام على شرط أن يلتزم الملك بالدستور ويعود ملكا لا يحكم ، فلقد ظل شعار الجبهة الوطنية حتى بعد إحيائها فى أواخر عهد الشاه يتمثل فى كلمة الزعيم محمد مصدق فى البرلمان عقب مقتل رزم آرا رئيس الوزراء الحديدى « افهموا جميعا إننا هنا نمثل الأمة ونحن أصحاب الكلمة العليا »[1] .

والواقع أن الشاه وطن نفسه على أن يقف وحده فى مواجهة الأحداث مستقلا فى فكره وتصرفه ولعل هذا الإتجاه بدأ عندما أصيب بأزمة نفسية حادة إبان أزمة تأميم البترول والتى يقول عنها محمد حسنين هيكل : صرح لى أحد أصدقاء الشاه بقوله :

لقد دخلت على جلالته مرة أثناء إحدى الأزمات وكان جلالته ثائراً منفعلا يروح فى مكتبة ويجىء ويزم شفتيه غضبا ويمسك إحدى يديه بالأخرى من فرط الضيق والتأثر، ثم نظر جلالته إلى وقال فى صوت مختلج : ماذا أفعل إنى هنا وحدى ولا أحد يشعر بمتاعبى بل إن الجميع يتآمرون على، بعضهم عن قصد وتعمدو البعض بطيبة وحسن نية ولكنى أدفع الثمن وحدى . واختلج صوت الملك وهو يكرر كلمة وحدى وحدى ، وأحسست أن جلالته مقبل على أزمة نفسية عنيفة ووجدت أنه ربما فضل أن لا يرى تأثره أحد وفتحت باب الغرفة وخرجت »[2] .

ويبدو أن الشاه قرر أن يعمل وحده بفكره هو حتى آخر الشوط حيث صرح لمراسل مجلة اشبيجل الألمانية الغربية قبل قيام الثورة بأسابيع قليلة. قائلا : « إن الجماهير جاحدة بالمفهوم الواقعى لهذه الكلمة ، ليس لديها الصبر ولا قوة التعقل، إن الأصدقاء تركونى منذ أشهر وذهبوا إلى أوربا وأمريكا بالأموال التى أخذوها، حتى أفراد أسرتى لم يقفوا بجانبى ولم يبق معى إلا بعض الأفراد لقد أساء من

---

(١) محمد حسنين هيكل : إيران فوق بركان ص ١٠٤ .

(٢) المرجع السابق ص ١٨٤ .

حولى إلى وإلى زوجتى واستغلوا اسمينا ، ليس فى هذه الدنيا من يعمل ولا يخطىء حتى العظام أمثال تشرشل وروزفلت وكيندى وديجول إننى أعرف أنى أخطأت ولـكنى أستطيع أيضا أن أقدم سجلا إيجابيا حافلا ، لقد قدت شعبى من ظروف القرون الوسطى إلى الحياة العصرية متحملا المشاق والتضحيات وسترى بعد عدة شهور من ذهابى كيف يتحسر الناس على ذهابى »(١)

موقف الشاه من أزمة التأميم واتجاهه للتغيير :

يقول محمد رضا بهلوى فى مذكراته تحت عنوان « الرد على التاريخ » : لقد أدى التدخل البريطانى الروسى إلى جلب محمد مصدق إلى كرسى الحـكم فقد كلفته بتولى رئاسة الوزارة سنة ١٩٤٣ م مؤملا أن لقائد وطنى مثل مصدق الصلابة الـكافية لإصلاح نظامنا الانتخابى وإقامة انتخابات خالية من التدخل الأجنبى إلا أننى فوجئت برده الذى وضع ثلاثة شروط للقبول هى أن يقبل البريطانيون ، أن يرانى ويأخذ منى النصيحة كل صباح ،أن أجهزه بحرس خاص وقال إنه لا يحصل شىء فى إيران دون موافقة البريطانيين وأنه ليس هناك من أهمية للروس ، ورفض البريطانيون الفـكرة فرفض مصدق الوزارة ، وقد أدى فشل وزارة رزم آرا فى معالجة أزمة المفاوضات مع شركة النفط إلى تهيئة المسرح لمصدق ، وقد بنى مصدق سمعته آنذاك كخطيب ساحر أو بوجه أدق كمارض مسرحى من الدرجة الأولى ، من الصعب الحـكم على الخطيب مصدق كسياسى ، وذلك بسبب التناقض الدائم بين أقواله وأفعاله وبسبب تغيراته النفسية المفاجئة إذ كان يتراوح دوما وفى نفس الموقف من أقصى حالات الحماس إلى أقصى الـكآبة وكان دوما شديد الثقة بآرائه مهما كانت وكان يعبر عنها دوما بخطب هستيرية مليئة بالبكاء والعويل كما كان يلجأ للتمارض الدبلوماسى ويمثل أدوارا كوميدية سوداء كأن يعلن فجأة أنه على وشك الموت ، وصارت نوبات الإغماء عنده مضرب الأمثال إلا أن القليلين عرفوا أن

---

(١) صحيفة كيهان العدد ١٠٦٥٤ بتاريخ ١٥ إسفند سنة ١٣٥٧ هـ . ش .

طبيبا فتح قميصه مرة عند إحدى النوبات ليفحصه فوجد يده تقبض على محفظته وليس على قلبه كما كان متوقعا، لقد قارن البعض بين مصدق وروبسبيير أوريبزى إلا أن المقارنة الأقرب هى مع شخصية هزلية ، دعا مصدق دوما لتأميم النفط مهيجا أفئدة شعب طال غضبه على التدخل الأجنبى فى شئونه ولم أكن مخالفا له فى هذا المطلب إلا أن رأيى كان فى ارتباط التأميم باتفاق مع البريطانيين وهذا مابدا صعب المنال آنذاك،وقد اضطررت لتعيين مصدق رئيسا للوزراء فى ٢٨ ابريل سنة ١٩٥١م ولم يكن هذا بالقرار السهل بالنسبة لى ، كنت حذرا من قومية مصدق الصارخة وعدائه العنيف لبريطانيا ولم أرفى رفضه لرئاسة الوزارة أثناء الحرب وتأييده المعاهدة النفطية التى أراد الروس فرضها علينا إلا مايشككك بصدق وطنيته، كان عمر مصدق آنذاك أربعة وسبعين عاما ولم ينقطع طيله حياته عن التعطش للسلطة أماوقد حصل عليها فقد أراد أن تكون مطلقة ، وقد نصحته بالتعقل والتروى ووعدنى بإتخاذ الحيطة إلا أن أعماله بعد ذلك لم تظهر سوى التهور فقد رفض التفاوض مع الإنجليز بعد قبول الشركة مبدأ التأميم ورفض بعثة ستوكس البريطانية ، واقتراحات بعثة هاريمان وعروض الوساطة من تشرشل وترومان وايزينهاور والبنك الدولى والتحكيم من قبل هيئة عالمية ورفض فى برنامجه التوازن السلمى إعطاء أية تنازلات لأى طرف حول أية مصلحة فى إيران وكانت فكرته مثيرة للاهتمام إلا أنه لم يمكن تطبيقها بتعصب جنونى ، كما أنه استغل صلاحياته أسوأ استغلال فتخلى عنه مؤيدوه القدماء(١) .

لقد أدرك الشاه أنه لايستطيع التخلص من النفوذ الغربى على بلاده لذلك فكر فى أن يهادن الغرب على أن يكون حليفا ليتركوه مطلق اليد فى إيران ويساعدوه إن احتاج للمساعدة حيث يقول فى مذكراته : « اعتقدت وأنا فى الحكم أن تحالفى مع الغرب كان مبنيا على أسس القوة والولاء والثقة المتبادلة ومن الممكن أننى كنت

---

(١) صحيفة الشرق الأوسط بتاريخ ١٣ / ١٢ / ١٩٨٠ م (طبع لندن بالعربية) .

مخطئا فيما يتعلق بالثقة » .(٢) لقد كان على الشاه أن يحل مشكلته مع القوى الأجنبية حتى يضمن امكانية السيطرة على الداخل ثم البدء فى تنفيذ خططه وسياساته ولقد نجح الشاه فى أن يضمن مساعدة الغرب له على البقاء والسيطرة ولكن الغرب لم ينظر إليه كأكثر من عميل يستطيع أن يغيره فى أى وقت إذا خرج عن حدود الولاء ، ولقد أدرك الشاه هذا مؤخرا عندما حاول أن يقوم دور الغرب وأثره على السياسة الإيرانية فى مذكراته حيث يقول : « لقد قضيت كل حياتى منذ سن الرشد جارا لسادة الكرملين ولم أستطع أن أرى أى تردد خلال أربعين سنة حول أهداف روسيا السياسية وهى الكفاح الذى لا يلين للسيطرة على العالم فإن موسكو تعتبر أن لديها كل ما يلزم من الوقت وأن بإمكانها الانتظار لخمسين سنة وهى لهذا تقبل بتراجع هنا وبصفقة هناك وبتفاهم فى مكان آخر لكن دون تذبذب حول الهدف النهائى ، عندما سحبت بريطانيا قواتها من شرق السويس سنة ١٩٦٨ م تقدمت راضيا لتحمل أعباء الدفاع عن الخليج وقد كان على إيران أن تصبح قوة عسكرية من الدرجة الأولى لها مايتطلبه ذلك من قواعد وتسهيلات وقد كنت واثقا من تأييد الحلفاء الأمريكيين والبريطانيين لهذه الأهداف ولكن يا لضياع الثقة ، وربما لم يمتلك الغرب سياسة متماسكة نحو إيران عدا تلك الجهود التى انتهت إلى النجاح فى طردى ، لقد اختلط التأييد الغربى لحكمى دوما بالحاجة لممارسة السيطرة الكافية، ومع لك فإن محاولات العرب فى قص أجنحتى تعود لأيام مصدق وقد تجددت كلما أردت أن أتصرف باستقلال ، فعندما كسرت نظام المناصفة فى ربح البترول مع شركة اينا الإيطالية وشركة ستاندارد أويل انديانا سنة ١٩٥٧ م لم تغفر لى الشركات الكبرى أبدا هذا الكسر لنظام المناصفة فقد نظمت المظاهرات الطلابية ضدى سنة ١٩٥٩ م لأول مرة وساعدت فى ذلك المخابرات المركزية الأمريكية وخلقت بذلك جهة معادية لكى تستخدمها ضدى كلما اختلفت سياستينا وكان على أن آخذ بتحذير رئيس وزرائى شريف إمامى منذ عشرين سنة عندما أخبرنى أن

---

(٢) صحيفة الشرق الأوسط بتاريخ ١ / ١٢ / ١٩٨٠ م .

الولايات المتحدة تقف خلف التحركات الطلابية المعادية فى خارج إيران وداخلها وتقوم بتدبير مشاكل أخرى أيضاً ، وقد تجمعت فى السبعينات قوى تهدف كلها لإزالتى وهى شركات البترول العالمية ، الحكومتان البريطانية والأمريكيه، وسائل الإعلام العالمية ، الأوساط الدينية المحافظة فى الداخل بالإضافة إلى الشيوعين الذين نجحوا فى التسلل داخل المؤسسات الإيرانية .(١) ويضرب الشاه بعض الأمثلة على أسلوب تدخل الغرب فى إيران فيقول : « لقد عقدنا سنة ١٩٤٢ م تحالفا ثلاثيا مع البريطانيين والروس ضمنا فيه الاعتراف بسيادة إيران واستقلالها وخروج القوات الحليفة بعد ستة أشهر من انتهاء الحرب مع ضمانات بعدم تقسيم البلاد بين البريطانيين والروس ، ولكن لم يضع موقفنا الجديد كحليف للطرفين حدا لتدخلهما المستمر فى شئوننا فقد طلب السفير البريطانى طبع كميات أكبر من العملة لمساعدة جيشى الاحتلال على مواجهة مصاريفهما المحلية وعندما رفضت الحكومة هددنى بسحب الثقة من حكمى ولكنى رفضت الطلب وكانت هذه هى المرة الأولى التى أتحدى فيها القوة المحتلة بهذا الشكل، وقد ساعد ذلك على تقوية وضعى داخل البلاد وعند الحلفاء إلا أن البريطانيين كانوا خبراء فى التأثير على السياسة الإيرانية مستفيدين من محدودية صلاحياتى آنذاك حيث كانوا يسيطرون على المجلس البرلمانى وعن طريقه استطاعوا الحصول على مطلبهم مضيفين إلى المشاكل التى كان الاقتصاد الإيرانى يعانى منها (٢) .

ويتحدث الشاه عن أسلوب تعامل السوفيت معه فيقول : « اتصف ستالين فى لقائه معى بالمجاملة والتهذيب ولم يكن لى آنذاك أن أعرف مقدار ، ما انطوى عليه كلامه من خداع فقد كنت متحمسا — لصغر سنى ووطنيتى وألمى من تحطيم الجيش الإيرانى وتجريده من المعدات — الى أن أكلمه عن حاجتنا إلى الطائرات والدبابات وعندما كلمته فى ذلك فعلا بادر فى الحال إلى عرض لواء دبابات وسرب

(١) صحيفة الشرق الأوسط بتاريخ ٤ / ١٢ / ١٩٨٠ م .
(٢) صحيفة الشرق الأوسط بتاريخ ٨ / ١٢ / ١٩٨٠ م.

طائرات على مرجنا بحث أمر التدريب وطريقة التسليم إلى ما بعد، فشكرته بحرارة معتقدا أنني أنجزت خطوة مهمة على طريق تحقيق الاستقلال والكرامة لبلادي إلا إنني تبينت فيما بعد أن ذلك لم يكن سوى درس أتلقاه عن مخاتلة الروس وعن الأثمان الباهظة التي يطالبون مقابل التنازلات فلما رفضت الشروط أخذت الإذاعة السوفيتية تهاجمني وبدأت صحيفة حزب توده الشيوعي في إيران تنتقد إدارتي للسياسة الخارجية، هذا الحزب الذي ساعدت موسكو على تكوينه مع البريطانيين (١) .

وقد لعب حزب توده دوراها ما في فترة رئاسة مصدق للوزارة فقد وضع خطته على أساس استعمال مصدق لإسقاطي أولا ثم التخلص من مصدق بعد مغادرتي إيران بأسبوعين وقد بينت الوثائق التي كشفت ذلك وأتيح لي أن أرى طوابع بريدية تحمل اسم جمهورية إيران الشعبية وكان من المقرر إصدارها بعد إسقاط مصدق ولم يكن هناك شك في أن موسكو قد ساعدت هذا الحزب سياسيا وماديا ولكن الثورة الشعبية المؤيدة لي فاجأت المتآمرين (٢) . ويحاول الشاه أن يصل من خلال رأيه في لعبة القوى الكبرى إلى نتيجة تمثل خلاصة فكره وتجاربه مع هذه القوى حيث قال : « إن ما يحدث في إيران الآن قد حدث سنة ١٩٠٧ م عندما كان الإنجليز والروس قد اقتسموا البلاد ، وبعد ذلك جاء الإنجليز والأمريكان وقدموا لستالين ومولوتوف هدية أخرى هي أن يكون لولايات آذربيجان وكردستان وخوزستان حكم ذاتي ، ووقفنا ضد رغبة ستالين وضد رغبات عدد كبير من مستشاري ونجحنا وكانت هذه هي أول مرة نقف فيها ضد السوفيت ومشينا في ذلك وراء موقف تيتو سنة ١٩٤٨ م ، هذه هي السياسة القديمة تمزيق إيران وإعطاء أجزاء منها الحكم الذاتي فإذا حدث ذلك لولاية واحدة فإن الولايات الأخرى سوف تتبعها بسرعة وتنتهي الدولة وتتمزق القومية الإيرانية (٣) .

---

(١) صحيفة الشرق الأوسط بتاريخ ١٠ / ١٢ / ١٩٨٠ م

(٢) صحيفة الشرق الأوسط بتاريخ ١٧ / ١٢ / ١٩٨٠ م .

(٣) مجلة أكتوبر العدد ١٩٢ بتاريخ ٢٩ يونية سنة ١٩٨٠ م .

والواقع أن أحداث التاريخ تؤيد رأى الشاه هذا حيث يحكى الصحفى محمد حسنين هيكل كشاهد عيان فى أحداث التأميم الأوضاع التى كانت سائدة وقتها فيقول: قال لى أمريكى مسئول فى طهران : العجيب أن الحزب الوحيد الذى ليس له وجود شرعى وقانونى فى إيران هو الحزب الوحيد الذى له وجود فعلى وحقيقى فى كل أرجائها ، كل ما فى طهران مع الأسف يساعد حزب توده بل يعمل لحساب حزب توده، وكان الأمر الواقع فى شوارع طهران يؤيد إلى أقصى الحدود — هذا الذى يقوله الأمريكى المسئول،لحساب حزب توده مثلا،شباب إيران الذى لا يجد زعماء يتصلون به ولا تشكيلات تضم شتاته ولا منظمات تجمع نشاطه إلا زعماء وتشكيلات ومنظمات توده ، ولحسابه أيضا شباب موظفى الحكومة وهم فى إيران قرابة مائة ألف يعيشون فى ظروف غلاء مرير وتتأخر مرتباتهم بالشهرين وبالثلاثة ولا يهتم بهم أحد ، ولحسابه كل هؤلاء الفلاحين المعدمين الذين لا يملكون شيئا والذين ما زالوا عبيدا يباعون مع الأرض التى يعيشون عليها عندما يشاء الاقطاعيون من أفراد العشرين أسرة التى تملك معظم أراضى إيران ، ولحسابه ما تقوله الاحصائيات من أن ثمانين فى المائة من سكان إيران لا يجدون مقومات القوت الضرورى لإستمرار حياتهم ، والفساد المتفشى فى كل ناحية ، فى مجلس النواب نفسه حيث يسير النواب وراء الأغراض الشخصية فمنهم من يعيشون على حساب ساسة يوجهونهم ، ومنهم من يتقاضون مرتبات من بعض الوزراء ونواب لا يؤيدون الوزارات إلا إذا كانوا هم أنفسهم بين الوزراء ، وفى الأداة الحكومية حيث أصبحت كلمة الرشوة أوسع الكلمات انتشارا واستعمالا ، وفى حاشية الشاه حيث يوجد بين أفرادها من لا ينظر إلا لمصلحته الخاصة ومن لا يهمه أن يزج باسم الشاه فى كل مناسبة وبغير مناسبة ، ومن يستغل نفوذه بل ومن يرتشى علنا وعلى الشاه المسكين أن يدفع الثمن من سمعته وشعبيته وحب رعاياه له ، هذا الفساد فى كل ناحية لحساب توده ، ولحساب توده أنه ليس لإيران سياسة ثابتة فى أى ناحية من نواحى الإنتاج(١).

(١) محمد حسنين هيكل : إيران فوق بركان ص ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٦ ،

الثورة البيضاء وأهدافها :

على أن الدارس لتاريخ إيران وحضارتها خلال أزمة البترول ومابعدها لايحتاج إلى كبير عناء ليدرك أن الشاه لم يقف فى الواقع موقفا سلبيا إزاء الأحداث بل إنه تحرك إيجابيا وبسرعة حاسمة بغض النظر عن مدى صحة تحرك أو فائدته للوطن حيث عمل على إرضاء الشعور العام فى بلاده والرأى العام العالمى فقرر أن ينزل عن أراضيه للفقراء ومضى إلى أكثر من هذا فناشد أغنياء إيران أن ينزلوا عن جزء من أراضيهم للفلاحين الذين يعيشون عليها ، وقد عبر الشاه عن موقفه هذا فى حديث صحفى له سنة ١٩٥١ م قال فيه : حينما كتب أبى وصية ترك لى كل أراضيه وكانت فى مجموعها تبلغ ربع الأراضى المزروعة فى ايران وكان أبى يقصد من ترك أراضيه لى أن يساعدنى دخلها على أن أحتفظ بجلال الملك ولكن الدنيا تتطور والأفكار تتغير بسرعة ، ولقد رأيت أن وجبى الحقيقى كملك يقتضينى أن أوزع هذه الأرض لتساعد الشعب على الحياة وكنت واثقا من أن مساعدة الشعب على الحياة أضمن الطرق لصيانة جلال الملك ، لقد قررت فى بداية الأمر أن أنزل عن هذه الأراضى للحكومة على أن يصرف دخلها على المشروعات التى ترفع من مستوى الحياة بين أفراد شعبى ، ولكن ظهر لى فيما بعد أن هذه الفكرة لم تكن مجدية فلقد كان دخل هذه الأراضى حين سلمتها للحكومة سبعين مليونا من التومانات فى السنة — ما يقرب من سبعة ملايين جنيه مصرى — ولكن الروتين الحكومى كان من نتائجه أن ساءت إدارة هذه الأرض حتى انخفض دخلها إلى ستة ملايين فقط أى أقل من العشر ، ومنذ أشهر خطر ببالى أنه مهما يكن من أمر المشروعات النافعة التى تصرف فيها دخول هذه الأراضى فإن حلم الفلاحين دائما أن يصبحوا ملاكا وسارت أفكارى فى هذا الاتجاه واستقر رأيى على توزيعها ، لقد قررت أن أبيع لهؤلاء الفلاحين هذه الأراضى بأثمان تقل عن نصف قيمتها وبأقساط لمدة خمس عشرة سنة وقررت أن تخصص المبالغ المتجمعة من ثمن البيع لإنشاء صناعات زراعية قوية وأن يذهب ربح ...

هذه الصناعات الزراعية إلى مؤسسة خاصة تتولى استصلاح الأراضى غير الصالحة للزراعة بشكل الوسائل العلمية والفنية لكى توزعها على فلاحين يصبحون ملاكا جددا، وطابت من الخبراء أن يعدوا مشروعات بإنشاء جمعيات تعاونية تباشر على الفور نشاطها فى مساعدة الفلاحين الذين وزعت عليهم الأراضى لكى تصبح ملكيتهم ملكية نافعة مثمرة لهم(١) .

والواقع أن فكرة توزيع الأراضى الملكية على الفلاحين بهذا النحو كان خطوة نحو إعلان الثورة البيضاء التى عاد الشاه فسماها ثورة الشاه والشعب لتتلاءم مع الفلسفة التى أعلنها لها حيث قال : إن روح هذه الثورة وفلسفتها هو التناسق بين تنفيذ البرامج الاقتصادية الواسعة وزيادة الثروة والدخل القومى يوما بعد يوم بحيث يستفيد أكبر عدد ممكن من أفراد الشعب من هذا التقدم فى أفضل ظروف ممكنة دون أن يضر ذلك الحقوق والحريات الفردية، ويوجب تحقيق هذا الهدف أن تستبدل الديمقراطية السياسية من شكلها فى الماضى منحصرة فى أقلية محدودة تكون وسيلة لإستغلال الأكثرية وأن تصبح أساسا اقتصاديا واجتماعيا قويا وصحيحا عن طريق مزج الديمقراطية الاقتصادية بالاقتصاد الديمقراطى(٢) .

ومن خلال هذا المنطق وضع الشاه لثورته البيضاء عدة أسس تصبح بمثابة أهداف ينضم الجميع الشاه وأفراد الشعب لتحقيقها وأهم هذه الأسس :

التغيير الأساسى والثورى فى كافة النواحى الاجتماعية والإقتصادية للمجتمع من أجل تجديد حياة المجتمع الإيرانى ، الإهتمام بكافة المسائل الإنسانية والاجتماعية والإقتصادية والقضائية والصناعية والزراعية والثقافية وغيرها ، التوافق الدائم مع القيم والمواريث الحضارية والثقافية الإيرانية الخاصة(٣) .

---

(١) المرجع السابق ص ١٧٧ — ١٧٩ .
(٢) محمد رضا بهلوى ، بسوى تمدن بزرگ ص ٩٦ .
(٣) راجع كتاب الثورة البيضاء .

ولعل الدارس يقف هنا متسائلا : هل حقق الشاه ماوعد به من أهداف للثورة البيضاء ؟ وهل كانت الأساليب التي انتهجها موصلة لتحقيق هذه الأهداف؟ ولاشك أن الدارس يقف متردداً إزاء الإجابة على هذا التساؤل ومن الطبيعى أن يضع الدارس تقويمه على أساس أن أهداف الثورة البيضاء بالصورة التي أعلنها الشاه تكمن فى ضرورة أن يكون كل تخطيط اقتصادى على أساس التصور البعيد المدى للتوسع الإيرانى من الوجهة الاقتصادية والإجتماعية والسياسية وهذا التصور كهدف يستلهم مبادىء الثورة فى جميع مراحل تحديد الأهداف الجزئية والاستراتيجيات والسياسات وإعداد الاقتراحات وتنظيم البرامج ، ومع تشكيك الكتاب المعارضين للنظام الملكى فى صحة البيانات والاحصائيات الحكومية التي صدرت وتصدر عن إنجازات الثورة البيضاء إلا أنه يجدر بالدارس أن يعرض تلخيصا لما ذكره الشاه عن إنجازات هذه الثورة فى مختلف المجالات وكذلك عن أوجه القصور فى هذه المجالات :

أولا : مجال الإصلاح الزراعى :

نجحت الجهود الشخصية للشاه فى تمليك الأرض الملكية والحكومية للمزارعين حيث تم توزيع أراضى ألف وأربعمائة قرية تبلغ مائتى ألف هكتار على اثنين وأربعين ألف مزارع بسعر عادل قسط عليهم على مدى خمس عشرة سنة كمرحلة أولى ، كما نجحت المرحلة الثانية فى تحديد الملكية ببيع الموقوفات الخاصة للحكومة ثم توزيعها على المزارعين بعقود إيجار طويلة المدة لا تقل عن ثلاثين عاما وبلغ بعضها تسعة وتسعين عاما ، وفى المرحلة الثالثة تم نقل ملكية الأراضى المستأجرة من الإقطاعيين إلى المزارعين أو اقتسام العائد بتراضى الطرفين ، وقد أدى الإصلاح الزراعى إلى القضاء على نظام الإقطاع وتغيير أسلوب الزراعة وزيادة الأراضى المنزرعة ورفع مستوى الإنتاج الزراعى وكمية الحاصلات والاستفادة من الوسائل الحديثة فى الزراعة ، ودعم وزيادة الشركات التعاونية الزراعية وإنشاء الشركات المساهمة الزراعية وتأسيس بيوت الثقافة الريفية وغير ذلك من المشروعات الحضارية .

ثانياً : المصانع التعاونية :

ترتب على الإصلاح الزراعى قيام الدولة ببيع أسهم المصانع الحكومية للعمال وقد ساعد هذا على سرعة دوران رأس المال من ناحية ، وإيجاد الشركات المساهمة من ناحية أخرى ، وقد طبق هذا المبدأ على كل المصانع فيما عدا الصناعات القومية مثل السكك الحديدية والطاقة والأسلحة وما إلى ذلك والتى بقيت تحت سيطرة الحكومة وقد ظلت السياسية الصناعية تسير فى خطين متوازيين هما إنشاء صناعات فى القطاع الحكومى والحفاظ على الاستثمار فى القطاع الخاص .

ثالثا : المصادر الطبيعية :

تم تأميم الغابات والمراعى ومصادر المياه منعا من إحتكار الأفراد لهذه المصادر الطبيعية وتوفير الإدارة السليمة لهذه الثروة من أجل الحصول على أكبر عائد من هذه المصادر وما ينتج عنها من طاقة سواء فى مجال الكهرباء أو البترول الذى يلقى كل العناية وخاصة فى مجال زيادة صناعة البتروكيماويات والطاقة الذرية .

رابعا : شئون العمل والعمال :

تحقق للعمال الاشتراك فى أرباح المصانع ، وقد وحدت سياسة جديدة للتشغيل تهدف إلى إعطاء الحق للعامل فى العمل الدائم وتأمينه ضد البطالة ، كما وضعت سياسة أجور جديدة تأخذ فى اعتبارها ظروف الحياة التى يعيشها ووضع كادر جديد للأجور أصبح يطبق إجباريا ، كما وضعت سياسة لربط الأجر بالانتاج من أجل رفع مستوى الصناعة وتحسين المستوى المعيشى للعامل مع إيجاد حسن العلاقة بين العمل ورأس المال ، وقد توسعت الدولة فى تمليك الوحدات الصناعية والإنتاجية

للعمال من أجل زيادة المشاركة الشعبية فى النشاط الاقتصادى ومن أجل ضمان التوزيع العادل للدخل .

خامسا : تعميم الديمقراطية :

أجريت عدة إصلاحات على قانون الانتخابات بحيث ضمن اشتراك الأفراد فى تقرير مصيرهم وروعى اشتراك النساء فى الانتخابات وحصولهن على المساواة بالرجل ، كما تم تشكيل المجالس المحلية والنقابية وكذلك مجالس التعليم والصحة .

سادساً : التعليم .

حظى التعليم باهتمام خاص وأنشئت كتائب التعليم التى ساهمت فى خلق نهضة تعليمية كما وكيفا ، وقد استقرت نظم التعليم بعد تطويرها بشكل يجعلها تلاحق النهضة الاقتصادية السريعة ، وقد بذلت الجهود لتشجيع التدريب المهنى وكذلك محو الأمية من أجل الاحتياجات الاقتصادية .

سابعاً : الصحة .

سعت الثورة إلى استكمال الأجهزة الصحية ، وتأمين العلاج وحماية الأمهات ورعاية الطفولة ، وإنشاء كتائب الصحة .

ثامناً : الاسكان والتعمير .

تم إنشاء كتائب التعمير من الخبراء والفنيين الشبان فى مختلف التخصصات وامتدت خدماتها إلى رفع المستوى المعيشى للقرويين عن طريق المشروعات الريفية كما ساهمت فى بناء المدن ومد الطرق وشبكات الكهرباء والميكنة وسائر الخدمات الفنية ، وقد سدت هذه الكتائب الكثير من احتياجات التوسع الاقتصادى المتزايد ، وقد عملت الثورة على حفظ حق المواطن فى السكن والحيلولة دون استغلاله إلا أن

المعوقات التى واجهت هذا الأمر حالت دون نجاح هذا الجهد نجاحا كاملا وإن كانت الدولة تواصل وضع المخارج لحل هذه المعوقات .

تاسعاً : الشئون القضائية .

أنشئت دواوين الإنصاف والتحكيم فى المظالم فى القرى والمدن ومنحت الثورة البلاد وجها جديدا للعدالة وهو الرجوع إلى العدالة الطبيعية بدلا من العداله القانونية وقد نجحت هذه التجربة نجاحا منقطع النظير بحيث جعلت حل المشاكل القضائية أكثر سهولة وخففت عن كاهل الأجهزة العدلية وحققت فلسفة جديدة للعدالة .

عاشراً : الثورة الإدارية .

نظرا لأن هذا الجانب من أصعب جوانب الثورة حيث يتطلب تحولا عميقا فى أسلوب الفكر والنفسيات والعادات المستأصلة للموظفين والمسئولين فى الإدارات من ناحية والمترددين على المصالح من ناحية أخرى وليس من الممكن إحداث هذا التحول بشكل سريع وفورى فقد تطلب ذلك وضع قوانين جديدة وتحسين أوضاع الإدارات ، وتطبيق اللامركزية ومنح المحافظين سلطات أوسع ، وقد أنشىء مجلس الثورة الإدارية وانبثقت عنه لجان فرعية تعمل كل منها فى وزارة أو مؤسسة حكومية، وإدخال نظام العقل الحاسب للقضاء على البيروقراطية، وإنشاء اللجنة الملكية للرقابة والمتابعة وإنشاء الهيئة الملكية للتحقيقات .

حادى عشر : محاربة الفساد .

عملت الثوره على تثبيت الأسعار وتحديدها ، التوزيع الصحيح للسلع على أساس الربح العادل ، محاربة استغلال المستهلك ، القضاء على الغلاء الذى هو أساس التضخم وإرتفاع الأسعار ، وقد أنشئت لجنة وزارية لمحاربة الفساد ، ولجنة وطنية

لحماية المستهلك ، وقد تدخلت الدولة من أجل تحديد الأسعار وتثبيتها وإقامة رقابه شعبية عليها من طلاب المعاهد العليا والجامعات ، بالإضافة إلى إتخاذ الإجراءات الخاصة بضوابط التصدير والاستيراد ، وتنظيم الأسواق وتحديد ساعات العمل ، وزيادة التعاونيات مما حقق معدلا جديدا فى مواجهة التضخم ودعم السلع الضرورية وتوفيرها مع الوضع فى الاعتبار ضرورة المشاركة الشعبية .

ثانى عشر : التأمينات الاجتماعية :

تم وضع قانون للتأمينات الاجتماعية العامة وآخر لتأمين العجزة على مستوى البلاد وخاصة القرويين حيث أن هذه التأمينات تشكل مع الجمعيات التعاونية ركنين أساسيين لتأمين احتياجات المجتمع فى العصر الحاضر ، كما تم التوسع فى التأمين العلاجى .

ثالث عشر : حزب النهضة لشعب إيران :

كان من الضرورى إنشاء منظمة سياسية ووطنية كبيرة بصورة تشكيلات دائمة وواسعة وقواعد مستمدة من المبادىء الفلسفية والإجتماعية للثورة لضمان المستقبل الوطنى لذلك تأسس حزب النهضة فى ١١ إسفند سنة ٢٥٢٣ ملكية ليكون مظهر الوحدة قوى الشعب الوطنية ومدرسة للوطنية والابتكار فى تنفيذ مبادىء الثورة وقاعدة معنوية وفكرية للمجتمع الإيرانى فى مسيرة الحضارة العظيمة بحيث يكون نجاح كل فرد فى الحصول على المناسب الكبيرة مرتبط بكفاءته واستعداده وتفانيه فى العمل ومن المهم إتاحة فرصة القيام بدور أساسى فى الحزب للنساء .

رابع عشر : البترول :

أمم البترول فى ٢٩ إسفند سنة ٢٥٠٩ ملكية وأنشئت شركة البترول الوطنية ورغم الصعوبات التى واجهتها إلا أن إيران استطاعت أن تصبح الدوله الرابعة فى

إنتاج البترول وتحتل المركز الثانى فى التصدير ، وقد دعمت صناعات بيعى والبتروكيماويات وتعمل الحكومة على الحفاظ على السلطة المطلقة والكاملة لايران على هذه الصناعة وعدم الدخول فى مخاطرات شخصية بمواجهة الامبراطوريات البترولية .

خامس عشر : السياسة الوطنية المستقلة

تعمل الحكومة على أن تكون كرامة إيران فى الساحة الدولية ، ودورها المتزايد فى التحولات السياسية والشئون الاقتصادية للعالم هما محرك سياستها الوطنية المستقلة الواضحة وتغيير سياسة الموازنة السلبية إلى سياسة الوطنية الإيجابية ، وإحترام المنظمات الدولية والتعاون معها ، وعقد المعاهدات الثنائية مع أكثر دول العالم واحترامها ، والتضامن مع الشعوب الإسلامية من طريق المؤتمر الإسلامى ، وتدعيم التعاون مع دول الحلف المركزى ، وزيادة التعاون مع الشعوب الأفريقية على أساس الاحترام المتبادل والمساعدات المادية ، وإعلان منطقة الشرق الأوسط والمحيط الهندى منطقة سلام وخالية من السلاح النووى ، وتكوين مجمع إقتصادى واسع لدول هذه المنطقة ، وتأييد نزع السلاح الكامل تحت الرقابة الدولية ، والاهتمام بأمن الخليج وإستقراره وسلامة ، العمل على استقرار نظام اقتصادى جديد وعادل فى العالم بدلا من هذا النظام الحالى غير العادل ، العمل على أن تكون القوة العسكرية ضرورة للدفاع الوطنى وضمانا للتطور الاجتماعى[1] .

نقد إنجازات الثورة البيضاء :

ومادمنا قد عرضنا باختصار لحديث الشاه عن منجزاته فلابدلنا أن نتوقف أيضا عند آراء معارضيه حول هذه الإنجازات ، يقول الدكتور أبو الحسن بنى صدر :

---

(١) محمد رضا پهلوى : بسوى تمدن بزرك من ص ٩٤ : ٢٤٦ .

إن البترول منذ إبتداء إنتاجه واستغلاله بقى غريباً عن الاقتصاد الإيرانى ، وفى نفس الوقت كان أحد العوامل الرئيسية فى تفسكك هذا الاقتصاد وهذا بسبب الصادرات لأنه سمح برمى المنتجات القومية وسبب عملية تحول لنمط الحياة من خلال حاجات يتعلق إشباعها بسلع منتجة فى الخارج وبهذا المعنى يشكل البترول كموجه مالى عامل تفسكيك للمجتمع والاقتصاد الإيرانيين وعامل تتبيع لعناصر لا يمكن تتبيعها بالنظام المسيطر ، وإن التتبيع الإقتصادى والسياسى والثقافى يزيل وطنية الطبقات الحاكمة بالنسبة للطبقات المحكومة ، كما أنه يعجل باستيراد السلع الاستهلاكية والقيم الثقافية ويشجع على تصدير المواد الأولية والكفاءات جاعلا البلد الخاضع فى حالة من التفسكك والعجز ، كما أن الجيش يلعب دوراً حاسما فى هذا التفسكك وهدفه المحافظة عليه وقمع كل القوى التى تعارض هذه العملية وإن تقدير الحد الأدنى لمجموع النفقات المباشرة للجيش ولقوى النظام مضافا إليها عشرة فى المائه من ميزانية الإدارة والتطور يظهر لنا أن النفقات العسكرية تزيد بمعدل ستة وعشرين فى المائه وبالمقارنة فإن المصاريف العسكرية فى زمن الدكتور مصدق (٥٠ /١٩٥١ م) لم تبلغ سوى اثنين وواحد من عشرة فى المائة من الناتج القومى العام بينما شكلت فى سنة ١٩٦٧ م سبعة وخمسة وسبعين فى المائة ووصلت سنة ١٩٧١م إلى أحده عشرة وخمسة وعشرين فى المائه . وبهذا تسكون إيران قد تجاوزت أعلى نسبة إنفاق عسكرى فى العالم وبهذا الإنفاق يبنى الشاه قوة عسكرية فى خدمة مصالح الولات المتحدة(١) .

وعلى هذا فقد لخص بنى صدر جوانب القصور الحقيقية والعميقة فى سياسة الشاه الداخلية والخارجية ، ولعله يبدو مصيبا فيما توصل إليه من رأى ولسكن ليس إلى الحد الذى يمحو به إيجابيات هذه السياسة ولعل من أهمها إبقاء إيران فى حالة استقرار بعيدا عن المشاكل التى تثيرها الأطماع المتصارعة للقوى السكبرى وهى

---

(١) أبو الحسن بنى صدر : إيران غربة السياسة والثروة ص ١٣ — ١٨ .

ما تكلف الدول الصغرى مالا تطيق ، ولعل هذا الاستقرار قد ساعد على إقامة العديد من المشروعات الإنتاجية ومشروعات الخدمات ، كما أن الانفتاح على الغرب ساعد على تطور الفكر الإيرانى إلى حد كبير وساهم فى تعرفه وتجاوبه مع عناصر العلم والتكنولوجيا الحديثة ، ونحن فى هذا لا نقف فى صف نظام الشاه بل إننا نؤكد على نقطة سوداء فى هذا النظام المستبد وهى أنه حاول أن يستغل كل إنجازاته لصالح الطبقة الحاكمة ثم لجأ إلى العنف فى الأصوات المعارضة إلى حد لم تبلغه الدكتاتوريات السابقة وأكبر مثال على هذا هو أحداث يونيو سنة ١٩٦٣ م التى أدت إلى سقوط الكثير من القتلى والجرحى بينهم عدد من كبار رجال الدين كما انتهت بنفى الزعيم الدينى آية الله روح الله الخمينى ، ولعلنا نؤيد بنى صدر فى عبارته : « هذه النفقات المتمركزة والآخذة فى التمركز تدفع نحو الخارج حجما متناميا من ثروات البلد ، والمقاومة الاقتصادية لا محل لها فلقد حطمتها الثورة البيضاء بعد أن هدمت القواعد التى يمكن أن ترتكز عليها . »(١) كما أن الشاه لم يحقق بثورته البيضاء إنجازا حاسما حيث علقت صحيفة لوموند الفرنسية على أحداث أوائل يونيو سنة ١٩٦٣ م بقولها: إن المشكلات الداخلية وتعارض المصالح والشقاق السياسى والبؤس الاجتماعى المتعذر القضاء عليه والرجعية والتخلف اللذين يبقى عليهما بحرص أنصار الوضع الراهن ، كل هذه العوامل تكفى تماما لتفسر حالة الغليان هناك . »(٢) ومضت الصحيفة فى مقالها تحت عنوان « إيران أو الجذوة القابلة للانفجار » تنفى مبررات السلطة الحاكمة لهذه الأحداث بقولها : » لعل الحكومة قد ألقت على الأجنبى بمسئولية المظاهرات والاشتباكات لتخفض صعابها الداخلية . »(٣) ويعلق الأستاذ جاد طه على سياسة الشاه فى هذه الفترة بقوله : « كيف يتمكن الشاه من الحصول على مساعدة الجبهة الوطنية إذا لم يوافق على

---

(١) المرجع السابق : ص ٢٥ .

(٢) صحيفة لوموند الفرنسية الصادرة يوم ٧ يونية سنة ١٩٦٣ م .

(٣) المرجع السابق .

مطالبها الخاصة بإجراء انتخابات حره وإقامة حكومة شعبية منتخبة تتمتع بسلطة حقيقية وقطع كل العلاقات بجميع صورها مع إسرائيل، إن لم يظهر بالتأكيد ما يدل على رغبة فى التخلى عن المبدأ الديجولى الخاص باستمداد سلطته من الشعب مباشرة »[1] .

ويطلق بنى صدر على الثوره البيضاء اصطلاح « حل التسوية المقترح من قبل النظام » حيث استطاع الشاه من خلاله استيعاب العنصر الممكن استيعابها من المعارضة وخاصة أعضاء الجبهة الوطنية ، ثم لجأ النظام بعد ذلك لتصفية عناصر المعارضة التى لا يمكن استيعابها، وأكد بنى صدر أن إزدياد إيرادات الدولة والوضع العالمى خلال هذه الفترة التى استمرت خمسة عشر عاما سمحا بمتابعة هذه السياسة أى سياسة الاستيعاب والتصفية[2] كما يشير بنى صدر إلى فشل السياسة الاقتصادية للثورة البيضاء مؤكدا أن أسباب فشلها يرجع إلى ارتكازها على الاستهلاك المسبق وعلى التقرير المسبق للمستقبل فالاستهلاك السنوى كان يتجاوز القدرة الإنتاجية للبلاد وكانت زيادة أنتاج البترول تغطى الفرق[3] .

ويؤكد بنى صدر أن الأيديولوجية الأمبراطورية القائمة على مركزة كل السلطات السياسية والاقتصادية والإجتماعية والفكرية فى شخص الشاه أصبحت أيديولوجيه الهدم والإفناء للبلاد ولن تترك للشاه أى رصيد إيجابى . [4] وحول قانون مشاركة العمال فى أرباح المصانع يقول : إن الموقف الرسمى للحكومة الإيرانية من البروليتاريا واضح من خلال حيثيات هذا القانون فهو ليس أكثر من مشروع للدعاية وضع للخارج أكثر منه للعمال الإيرانيين فهو يرمى إلى ربط العمال بالمؤسسة

---

(١) جاد طه : إيران وحتمية التاريخ ص ١٤٢ .
(٢) أبو الحسن بنى صدر : إيران غربة السياسة والثروة ص ٣١
(٣) المرجع السابق ص ٣٥ .
(٤) نفسه ص ٣٧ .

ومنح الامتيازات للعمال الأكثر تأهيلا وذوى الأجور الجيدة مما يحدث تقسيما للبروليتاريا بواسطة خلق فئة من العمال مرتبطة بسبب الامتيازات برب العمل تستخدم كسلطة فى مواجهة العمال الجدد وغير الموهلين لذلك فهذا القانون فى بساطته وليونته يمثل واحدا من الأنظمة الأكثر مهارة فى التوفيق بين الاستقلال الذاتى للعمال بواسطه العلاقة الناشئة بين الإنتاجية والأجر وتقسيمهم بواسطة تكوين شريحة تحصل على الامتياز من خلال تضامنها مع تنظيم الاستغلال(١).

ولعل هذا النقد حول إنجازات الثورة البيضاء من مفكر أصبح أعلى سلطة تنفيذية فى إيران بعد الثورة جدير بعناية الدارس لأنه إلى جانب كونه ردا على مزاعم إيجابيات الشاه يمثل عنصرا لتقويم سياسة الجمهورية الإسلامية برئاسة بنى صدر نفسه ،.والواقع أن بنى صدر كان ذكيا فى نقده لإنجازات الثورة البيضاء فهو رغم تلقيه تعليمه فى الغرب ورغم تأثره الواضح بمنهج الغرب فى التفكير والتصرف إلا أنه نقد الشاه مستخدما أسلوب الماركسيين فى النقد وموظفا خبرته بالدراسات الاقتصادية فى أكتشاف جوانب القصور فى الاقتصاد الإيرانى ؛ وهو مع إستخدامه هذا الأسلوب فى النقد إلا أنه عندما طرح الحلول لمشاكل إيران السياسية والاقتصادية لم يستمر على هذا المنهج وإنما إستخدم أسلوبا آخر استوحاه من النظم الإسلامية ، ولو أنه إستخدم هذا الأسلوب الإسلامى فى نقد إنجازات الثورة البيضاء لما أحدث هذا القدر من التشكيك فى نجاحها . لأن المنهج الإسلامى يتوخى الحقيقة المجردة بعيداً عن التعصب للنظام أو عليه وبعيداً عن التجريح .

— فكرة الحضارة العظيمة وفشلها :

وعندما أدرك الشاه أن فكرة الثورة البيضاء قد استنفذت أغراضها بدأ يعلن عن فكرته الجديدة فى الإدارة باعتباره المسئول الأول والقائد الملهم حيث قال :

---

(١) نفسه ص ٩٩ .

إن إيصال شعب إيران إلى مرحلة الحضارة العظيمة هو أسمى آمالى،وإن قيادة بلادى فى هذا السبيل هو أهم واجباتى باعتبارى مسئولا عن مصير هذه البلاد »[١]. لذلك فقد طرح مشروعة الجديد بعنوان نحو الحضارة العظيمة ، وقد شرح ما يقصد من الحضارة العظيمة بقوله : هى الحضارة التى يستفاد فيها من أفضل عناصر العلم والفكر البشرى فى سبيل توفير أعلى مستوى للمعيشة من الناحية المادية والمعنوية لجميع أفراد المجتمع ، هى الحضارة التى تمتزج فيها المنجزات العظيمة للعلم والصناعه والتكنولوجيا بالقيم المعنوية العالية وبالموازين الراقية للعدالة الإجتماعية ، هى الحضارة التى تقوم على أساس العمل والإنسانية وويتمتع فيها كل فرد بالرفاهية المادية الكاملة من الحد الأقصى للتأمينات الاجتماعية ومن الثراء الروحى والأخلاقى الفياض [٢] » .

وقد أكد الشاه أن هذه الفكرة إنما تستند إلى حصيلة التجارب الحضارية للشعب الايرانى منذ أقدم العصور حيث بنيت الحضارة الآرية القديمة على أساس الحياة والابتكار وكان النور هو المظهر الأسمى للخلق ، وهى الحضارة التى كانت البداية الحقيقية لحضارة العالم [٣] .

ولا شك أن قدرة هذه الحضارة على الاستمرار إنما ترجع إلى عدة مقومات توفرت لها وأهمها القدرة الذاتية للشعب الايرانى التى تحافظ على بقائه ومواجهته الفناء ، وكذلك أصالة الحضارة والثقافة التى بناها الشعب الايرانى وحماها طوال التاريخ ، بالإضافة إلى نواحى العالمية فى النظرة والفكر للروح الإيرانية من خلال قدرتها على الاختلاط بالحضارات والثقافات الأخرى والاستفادة من أفضل عناصرها بهدف إيجاد تركيب أكثر أكتمالا وعالمية ، ولعل الاستقرار الذى حققه النظام

---

(١) محمد رضا بهلوى : بسوى تمدن بزرگ ص ٢٤٩ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٥٠ .

(٣) نفسه ص ٢٥٦

الامبراطورى فى إيران يمكن أن يضاف إلى هذه العوامل. ومما لاشك فيه أن الشاه قد وضع فى إعتباره هذه العناصر وهو يخطط لحضارته العظيمة ، كما أنه لم يخف إعجابه بتلك العناصر ولا بالحضارة الآرية القديمة حيث أكد أن هذه الحضارة التى يخطط لها سوف تكون مظهرا كاملا للحضارة الآرية الرائعة (١) . وهنا يجدر بالدارس أن يلخص تلك الأسس التى وضعها الشاه ليتم عليها حضارته العظيمة : —

أولا : النظام السياسى : ينبغى أن يقوم هذا النظام تحت المظلة الشاملة للنظام الامبراطورى على ثلاثة أسس هى السياسة الوطنيه المستقلة، الدفاع عن أمن وسيادة البلاد وسياسة عالية للسلام والتفاهم .

ثانيا : النظام الاقتصادى : يقوم على دعم وتوسيع تصنيع البلاد ، والتوسع فى الزراعة الميكانيكية ، وكذلك تعمير وبناء أنحاء البلاد مع الاستفادة الواسعة من المعاون وزيادة الصادرات الصناعية ، زيادة مستوى الإنتاج وعاء العمل ، استفادة من المصادر غير البترولية فى توليد الطاقة ، وجذب التكنولوجيا المتقدمة والعمل على إستقرارها فى البلاد ، الارتفاع المنظم بمستوى التخصصات الفنية والدراسات والابتكارات العلمية والصناعية .

ثالثا : النظام الاجتماعى. يقوم على أعلى حد من الإنسانية والديمقراطية بحيث تتشكل خطوطه العامة من الحريات الفردية ، العدالة الاجتماعية ، الديمقراطية الاقتصادية والاقتصاد الديمقراطى ، اللامركزية ، المشاركة العامة الواسعة والواعية فى كل الأمور ، الثقافة الوطنية النافعة .

رابعا : الثورة الإدارية : ينبغى أن تكون لها أهميتها غير العادية حيث أن

---

(١) نفسه : ص ٢٥٥

هذا التحول يصبح صعبا أو غير ممكن بدون تطور فى الإدارة فلاشك أن الشخص الذى يعمل فى الحكومة يتوقع تأمينا وتمتعا بالحقوق المشروعة ولكنه لاينبغى أن يخضع قيامه بوظيفته الإدارية والوطنية لقياس تحقق هذه الاعتبارات ، بل ينبغى أن يشعر الموظف الحكومى بأن وظيفته واجب مقدس ووجدانى تجاه أفراد المجتمع الآخرين .

خامسا . النظام التعليمى والثقافى : التربية والتعليم المنتشران على مستوى عال سواء من ناحية الكم أو الكيف ركن أساسى لحضارة إيران العظيمة فليس من الممكن حدوث أى تقدم فى أى مجال حيوى وطنى بدون إعداد العنصر الإنسانى الذى هو أساس التقدم بالعلم والفكر (١) .

أما فيما يتعلق بالناحية الدينية والمذهبية فلم يجعل منها الشاه أصلا من أصول حضارته العظيمة وإنما أشار إليها فى ختام حديثه عن الأصول الحضارية بقوله : إن هدفنا الأساسى فى بناء مجتمع اليوم والغد فى إيران هو تعميم وتسجيل الروح والمفهوم الواقعى للاسلام فى هذا المجتمع بقدر الإمكان حتى يكون المجتمع الإيرانى فى عصر الحضارة العظيمة مجتمعا مؤمنا منزها طاهرا لديه أكبر قدر من الروحيات على أساس هذه الروح وهذا المفهوم ولاشك أننا ننظر باحترام إلى عقائد أتباع الديانات الأخرى فى بلادنا لأن كل إيمان جدير بالإحترام وأن المجتمع غير الجدير بالاحترام هو المجتمع الذى طرد الإيمان منه (٢) .

ويقدم الشاه تعهداً لشعبه فى رسالة إليه يقول فيه ليس لى من دافع فى هذا الطريق :لا حب إيران ورغبتى فى عظمتها ورفعتها وتوفير السعادة والرخاء لشعب إيران بقدر الإمكان ، إن قيادة شعبى إلى الحضارة العظيمه لا يزيد من قدرى

---

(١) نفسه ص ٢٩١ : ٣٣١ .

(١) نفسه ص ٣٣٨ .

ودعمهم إياه يتوقف على مد تنفيذة لسياستهم لا لسياسته هو ، ولعـــل الشاه قـد ادرك متأخرا تلك الأخطاء القاتلة التى أوقع فيهـــا وهو يخطط للحضارة العظيـمة .

لقد مضى الشاه قدما فى تنفيذ ما خطط له ، وبدأ عمله بتغييرات واضحة فى القيادات فأقال وزارة أمير عباس هويدا الذى ظل فى منصب رئيس الوزراء منذ سنة ١٩٦٥ م وفى / ١٩٧٧ م وهى أطول فترة لرئاسة الوزارة فى عهد الشاه وقد كان الشاه يعتبره رجلا قديرا ومخلصا ورغم قناعته بأنه قد استنفد ما كان يريده منه وأن وجوده لن يساهم كثيرا فى هذه الثورة الجديدة إلا أنه احتفظ به كوزير للبلاط تقديرا لمواهبه وللاستئناس برأيه فى تلك الفترة ،وقد أختار لرئاسة الوزارة جمشيد آموزجار الذى قال عنه الشاه : « كان مؤهلا تماما لمعالجة الشئون الخارجية فقد مثل إيران فى منظمة الدول المصدرة للبترول لمدة سنين وبرزت قدرته خلال جلساتها ومفاوضاتها الصعبة المعقدة وبالإضافة إلى ذلك كان مهندسا متخرجا من الولايات ألمتحدة وله أصدقاء كثيرون هناك ، وكان معروفا بالاستقامة فى داخل إيران وكانت له قاعدة سياسية من حزب النهضة خاصة به ، وقد أردت من خلال تعيينه رئيسا للوزراء البدء بانطلاقة ليبرالية جديدة تسير بإيران نحو الديمقراطية وقد مضى فى سياسة الانفتاح الداخلى فرفع الرقابة عن الصحف وأطلق سراح المئات من المسجونين السياسيين وكان يستقبل فى أطراف البلاد بترحيب عاصف ، وقد قبلت إستقالته مرتكبا غلطة كبيرة إذ كان على الاحتفاظ بناصح حكيم ومتجرد مثل آموزجار (١) » .

ولقد رأى الشاه أن إحداث التغيير المطلوب لايتأتى إلا بإعطاء قدر من الحرية فى كافة المجالات ، ولقد مضى الشاه فى منح هذه الحريات رغم ما سببته له من مشا كل كان يراها صحية نتيجة للظروف الجديدة فقد قال فى خطاب ألقاه فى

---

(١) صحيفة الشرق الأوسط بتاريخ ٢٠ / ٢٢ / ١٩٨٠ .

ولا سلطتي لأن سلطتي ليست قابلة للارتقاء وقدرتي سواء من الناحية القانونية أو من ناحية العلاقة الروحية الخاصة بشعبي فى أعلى حد يمكن الوصول إليه فى البلاد ولكنني لا أقنع بأقل من هذا الهدف وأرى أن ما شعب إيران جدير به ليس أقل من ذلك ، وسوف أقوم برسالتي هذه أمامكم حتى آخر أيامي فى هذا الطريق المصيري العظيم [1] .

ولاشك أن الأسس التى وضعها الشاه لإقامة الحضارة العظيمة فى إيران تمثل رقيا فكريا ونزعة نحو التسامي إلا أن هذه الأفكار أشبه بما ورد فى الكتب عن جمهورية أفلاطون منها إلى تخطيط علمي من أجل إنجاز واقعي ، لقد جعل الشاه من نفسه القيادة والشعب ، بل لعله ظن أن كل ما يقول ينبغي تنفيذه بأي شكل وتحت أية ظروف متناسيا ذلك الواقع الذى يخفي تيارا متصاعدا من المعارضة وقوى منظمة تخطط فى هدوء للاطاحة بنظامه ، لقد ظل على إصداره فى عدم الاعتراف بالجبهة التى تكونت من رجال الدين وبدأت تنظم صفوفها فى مواجهته فلم يستمع لصوتها ولم يحاول إرضاءها ، كذلك كان متأكدا من قدرته على سحق تلك المنظمات اليسارية فى أى وقت متناسيا ذلك الدعم الذى تحصل عليه فى التنظيم والتدريب والتمويل من الدول الشيوعية وعلى رأسها جاره اللدود الاتحاد السوفيتي ومتناسيا كذلك النجاح الذى حققته فى التوغل فى صفوف طلاب الجامعات وعمال المصانع حتى أبناء القرى من الفلاحين ولقد إعتمد الشاه أكثر مما ينبغي على حسن علاقته بالغرب وخاصة الولايات المتحدة متناسيا أن هذه الدولة وحليفاتها لا تهمها شخص الشاه بقدر ما تهمها مصالحها فى إيران لذلك لم يتنبه إلى أن محاولاته لدفع بلاده لتأخذ مكانا أكبر من حجمها فى الساحة الدولية أو تقويتها بالقدر الذى تستطيع به أن تخرج على طاعة الغرب ، أو تصبح قوة تهدد سياسة الغرب ومصالحه فى المنطقة لن ترضى ما يعتبرهم حلفاءه أو أصدقاءه ، لم يدرك أن مقدار حبهم له

---

(١) انفسه ص ٣٤٠ وما بعدها

البرلمان خلال آخر دورة له قبل الثوره : « إن هذه الدورة التشريعية إزاء الظروف الحالية هامة وحساسة بصورة غيرعادية حيث ينبغى بكل إيمان وإخلاص وإذعان للاحتياجات إيجاد مناخ يدلى فيه الناخب برأيه بحرية فى الانتخابات الإيرانية القادمة ، وألا يتعرض لأى نوع من الضغط والإرهاب ، ينبغى أن نعمل على نقل السلطة بصورة طبيعية ، وحتى تكون طبيعية ينبغى احترام أصول وكافة مواد الدستور بصورة تامة وأن تتضح من كل ناحية حقوق وسلطات رئيس البلاد فى الدستور ومتمماته وكذلك حقوق السلطة القضائية ، يقولون إن الحكم موهبة إلهية فوضت من الشعب لشخص الملك ولا ينبغى أن ننسى ذلك مطلقا ، ولذلك فإن على ضمان حرية الانتخابات كواجب وجدانى وطنى بل وإلهى باعتبار أن الحكم موهبة إلهيه وآمل ألا يقدم فرد أو أفراد ، جماعة أو أحزاب على مامن شأنه إلحاق الضرر بسيادة البلاد ووحدتها واستقلالها ومصالحها وعلى كل إيرانى أن يعمل على ألا تطيح بلادنا من أيدينا(١) .

إذن كان أسلوب الشاه فى تنفيذ خطته نحو الحضارة العظيمة هو أن يغير قيادات السلطة التنفيذية ثم يتيح حدوث تغيير جذرى فى السلطة التشريعية عن طريق ضمان الحرية فى الانتخابات القادمة بحيث يصل إلى للبرلمان من يريده الشعب حقيقة . ولا شك أن هذا الأسلوب يحمد للشاه رغم كونه جاء متأخرا ، كذلك حرص الشاه على أن يقلم أظافر أفراد أسرته الذين طغى نفوذهم فى البلاد وصاروا يهيمنون على جزء كبير من الاقتصاد الإيرانى فأصدر قراره بمنع أفراد أسرته من التدخل فى شئون المؤسسات والهيئات والمصانع والشركات التابعة للحكومة والقطاع العام إلا أن القرار لم يحقق ما كان يرجى من إصداره فقد بلغت قروض الأسرة المالكة من البنوك الإيرانية خمسة عشر مليارا وثمانمائة وثمانية وثمانين مليونا من الريالات ، خص شمس بهلوى منها مليارين وستمائة وخمس وعشرين مليون ريال ،

---

(٢) صحيفه اطلاعات العدد ١٥٧٣٨ بتاريخ ٢٩ مهر سنة ١٣٥٧ هـ ش .

ومحمود رضا مليارا وستمائة وخمسين مليون ريال ، وعبد الرضا مائتين وواحد وتسعين مليونا ، وفريدة ديبا مائتين وخمسة ملايين وغلا مرضا خمسمائة وتسعة وثلاثين مليونا ، وكاميار بهلوى ثمانين مليونا ، وشهر آزاد پهلبد مائتين وخمسة وعشرين مليونا ، وفاطمة پهلوى خمسين مليونا ، وأمير حسين خزيمه أعلم مائتين وثلاثة وثلاثين مليونا ، وأشرف بهلوى ستمائة وأحد عشر مليونا من الريالات ، كما بلغت ممتلكات الأسرة في إيران مائة وثمانية وتسعين مصنعا ومصرفا وفندقا ومؤسسة ، وقد نشر الأستاذ شابور رواساني في كتابه إيران قائمة تحتوي على مائة وسبعة وثلاثين منها هي : شركت سهامي آلوم بامرس ، شركت سهامي انبارهاى عمومى إيران ، بانك عمران تعاونى روستائى : بانك دار يوش ، بانك اعتبارات ، بانك إيران وانگليس ، بانك سپه ، بيمه إيران ، بيمه ملى ، شركت سهامى بار ، شركت سهامى شورولت إيران ، جنرال موتورز إيران ، شركت سهامى گچ تهران ، شركت سهامى حمل ونقل خليج ، شركت سهامى هتلهاى إيران ، هتل قديمى گچر ـ هتل هيلتون ، هتل آبعلى ، هتل آمل ، هتل خرمشهر ، هتل بو على همدان ، هتل دربند ، هتل رز يدانس ، هتل ونك ، هتل شيراز ، هتل چالوس ، هتل جديد رامسر ، هتل جديد چالوس ، هتل شاه عباس ، هتل جديد گچر ، هتل شاهى ، هتل بابلسر ، هتل رويال تهران هيلتون ، آجر جنوب ، بانك إيران وعرب ، هتل شهسوار ، شركت سهامى إيران كابكا ، إيران بى اف گودريچ ، شركت سهامى ايرانيت ، كارخانجات قند همدان ، كارخانجات قند فريمان ، كارخانجات قند شيراز ، كارخانجات آزمايش ، كارخانجات قند قهستان ، كشت وصنعت مجتمع گوشت فدك خوشخورد ، شركت سهامى خانه سازى الهيه ، كشت وصنعت دشت آچى ، كشاورزى گل تپه ، كشاورزى وآبيارى نيلا ، كارخانجات كرك أصفهان ، خدمات هواپيمائى ژاين ، كشتيرانى ماى ، كشتيرانى خليج ، كشت وصنعت آمريكا ، شركت سهامى بريجستون إيران ، شركت سهامى معادن نوركان ، موقوفه آرامگاه بهلوى ، مجتمع دامپرورى وشير پاستوريزه شهفر ، نفتكش رضا پهلوى ، نفتكش محمد رضا بهلوى ، نفتكش

(ايران)

رضا شاه كبير ، نفتكش فرح پهلوی ، كابه ، شمينه ، شركت سهامی پاكديس ، شركت سهامی افست ، وشوران مهرآباد ، شهرسازی وساختمانی فرح آباد ، شهرك غرب ، شركت سهامی صادرات پنبه ، سازمان عمران كيش ، شركت سهامی شيميائی خاص شل ، شركت سهامی سيمان خوزستان ، شركت سهامی سيمان فارس ، شركت عمرانی شهر صنعتی ساوه ، سيمان تهران ، شركت كشت وصنعت جيرفت ، شركت سهامی سامان إيران ، توليدی وردا ، شركت سهامی ورزش دريا كنار ، شركت سهامی كاغذباك ،شركت سهامی تصفية شكرا هواز[1] هذا بالإضافة إلى مؤسسات لأسر تربطها علاقات وثيقة بالأسرة المالكة وتهيمن عليها وتشارك فيها مثل أسرة فرمانفرمائيان ، خسروشاهی ، ثابت ، لاجوردی ، رضائی ، فولادی ، وهاب زاده ، اخوان ، القانيان ، تيمور تاش ، خيامی وتزيد ثلاثمائة وتسعين مصنعا وبنكا ومؤسسة إنتاجية وصناعية وغيرها[2] .

ورغم قصور التنفيذ لخطط الحضارة العظيمة ورغم تفجر المشاكل وتصاعد الاضطرابات إلا أن الشاه لم يتوقف ولم يتراجع عما اعتزمه، وقد أدرك أنه لن يستمر فى الحكم مع تصاعد هذه الأحداث إلا أنه كان مصرا على الاستمرار حيث يقول فى مذكراته يصف الفترة الأخيرة من حكمه : كانت تلك أياما من الحزن وليالى من السهاد وقد شملت حالة البلاد المظلمة كل تفكيرى وكان من الضرورى على أن استمر لآخر لحظة مع إدراكى بأن رحيلى بات قريبا ، لا أريد ولا أقدر أن أصف مشاعرى يوم رحيلى فى السادس عشر من يناير عندما توجهت أنا والامبراطورة والأطفال إلى المطار ولا ذلك الإحساس بالتشاؤم حيال ماسوف يستتبعه رحيلى ، كنت أريد أن أقنع نفسى آنئذ بأن ذهابى سيهدىء الجماهير ويخفف من مشاعر الكراهية التى عمت البلاد وأن ينزع السلاح من أيدى القتلة ، كنت آمل أن يحالف الحظ بختيار وأن يستطيع إنقاذ البلاد من الخراب الذى حاق بها ، حين

---

(١) صحيفة كيهان العدد ١٠٦٨٩ بتاريخ اردبيهشت سنة ١٣٥٨ هـ . ش .

(٢) المرجع السابق .

وصلنا لمطار مهر آباد الذى كان مليئا بالطائرات المهملة بفعل الإضراب عصفت ريح موسمية باردة وكان فى استقبالنا هناك رئيس الوزراء بختيار ورئيسا مجلسى الشيوخ والنواب بالإضافة إلى الوزراء والجنرالات ، وقد كانت نصيحتى الأخيرة للجميع هى توخى الحكمة والتعقل ويشهد الله أنى حاولت جهدى حماية كل من خدمنى ، وقد تأثرت كثيرا من عواطف الولاء التى أعرب عنها المودعون ، وقد ساد لقاءنا الأخير هذا صمت ووجوم لم يقطعه إلا النحيب »[1] .

على كل حال فقد كان هذا اللقاء الأخير فى مطار مهر آباد آخر عهد الشاه بإيران فما لبث أن سقط نظامه وقامت الثورة ، وسوف نحاول فى المبحث التالى أن نتتبع الأحداث الأخيرة التى أودت بهذا النظام وساهمت فى تغيير وجه السياسة فى ايران .

(١) صحيفة الشرق الأوسط بتاريخ ٢٤ / ١٢ / ١٩٨٠ م .

المبحث الثاني

مقدمات قيام الثورة

— اهتزاز العلاقه بين الحاكم والمحكوم : —

لاشك أن مقدمات قيام الثورة الشعبية تكمن فى تطور العلاقة القائمة بين السلطة الحاكمة بمختلف مؤسساتها وبين الشعب بمختلف طوائفه وأحزابه ، ولعل الدارس لتاريخ إيران وحضارتها فى تلك الفترة التى سبقت الثورة يستطيع أن يتبين فى سهولة ويسر من خلال تطور الأحداث أن الثورة ما كانت لتقوم فى ذلك الوقت لولا تغير أسلوب التعامل بين الشاه والشعب حيث يلاحظ الدارس أن محمد رضا بهلوى قد صمم على أن يعطى شعبه بعض الحريات التى كان قد سلبها منه ، ولعل إلمامة سريعة بما ورد فى الصحف الإيرانية عن هذه القضية — رغم وقوع الصحف تحت وطأة السلطة — يثبت لنا أهمية هذه الملحوظة فى نمو الحركة الثورية .

— التغييرات الحزبية :—

أصدر الشاه أوامره بتوحيد الأحزاب فى حزب واحد هو حزب رستاخيز إيران « حزب النهضة الإيرانى » ولكن هذا لم يكون يعنى مشاركة الأحزاب السياسية المختلفة أو المنتمين إلى هذه الأحزاب فى النشاط السياسى للحزب الجديد بقدر ما كان يعنى وقف نشاط بعض الأحزاب المعادية للنظام ، ودمج الأحزاب الموالية له معا فى حزب واحد ، وحتى يبدو الشكل الديمقراطى لهذا الحزب واضحا فقد وضعت له ثلاثة أسس هى النظام الأمبراطورى ، الدستور ، والثورة البيضاء للشاه والشعب وصار هذا الترتيب دليلا على مدى أهمية كل أساس من هذه الأسس ، ولقد كان الهدف من إلغاء كافة الأحزاب وقيام حزب النهضة الإيرانى هو تجميع كافة القوى وتوجيهها إلى اتجاه واحد وقد ظلت هذه الفكرة المستوحاة من النظم الإشتراكية رائدة للحزب طوال ثلاث سنوات ونصف هى مدة زعامة أمير عباس هويدا إلا أن هذه الفكرة كانت مفروضة فرضا على

القوى السياسيه وكانت مجبرة على الأنقياد لها طالما كانت قبضة الحكومة قوية وطالما ظل رئيس الوزراء هو السكرتير العام للحزب

ولقد كان من الواضح أن الثورة النيابية فى إيران قد نجحت فى بداية الدورة الثانية للبرلمان فى خلق مناخ صالح لظهور حزبين قويين هما حزب العموم الديمقراطى « دموكرات عاميون » وحزب الإجتماعيين المتدلين « اجتماعيون اعتداليون » على أثر إسقاط محمد على شاه ونظامة المستبد سنة ١٣٢٧ وسنة ١٩٠٩ م بالإضافة إلى عدد من الأحزب الصغيرة أهمها حزب الإتفاق وحزب الترقى ، وقد كان حزب المتدلين المحافظ هو حزب الأغلبية حيث انضم إليه معظم الساسة وكبار رجال الدين وزعماء الثورة النيابية وكان أبرز أعضائه محمد صادق طباطبائى على أكبر دهخدا ، ميرزا على محمد دولت آبادى ، إقابزرگ شيرازى وشكر ألله خان قوام الدولة ، أما حزب العموم فكان حزب الأقلية وكان أبرز أعضائه سيد حسن تقى زاده ، حسين قلى خان تواب ، سليمان ميرزاً ، سيد محمد رضا مساوات وحيد الملك .

وقد ضمحل الحزبان معالدى قيام الحرب العالمية الأولى وظهور الشيوعيه وقد ظهر تبعا لذلك الحزب الإشتراكى « سوسياليست » كحزب أقلية متطرف يميل إلى الشيوعية الروسية وتزعمه حسن مستوفى الممالك ، والحزب الإصلاحى « إصلاح طلب » كحزب أغلبية بزعامة أحمد قوام السلطنة وحسن پير ينا مشير الدولة ، ثم ظهر حزب العدالة بزعامة على دشتى بعد سقوط الدولة القاجارية وكان حزبا مناهضا للشيوعية قام فى مواجهة حزب توده الشيوعى ، ثم ظهر بعد ذلك حزب إيران الذى أسسه اللهيار صالح والدكتور شمس الدين الجزايرى وأرسلان خلقبدى وأنضم إليه فيما بعد شابور بختيار والدكتور كريم سنجابى والمهندس محمد حسيبى ثم ظهرت بعد ذلك عدة أحزاب مثل حزب الوطنيين « ميهن پرستان » ، الوطن الإرادة الوطنى ، تلاتـحاد الوطنى ، الإستقلال ، مكافحى الشعب الإيرانى « زحمتكشان ملت إيران » وكان هذا الحزب الأخير الذى تزعمه الدكتور

مظفر بقائى هو النواة الحقيقية للجبهة الوطنية ، كما ظهرت جماعة فدائى الإسلام بزعامة نواب صفوى والتى كان نشاطها سريا وقامت بعدد من الإغتيالات السياسية أهمها إغتيال الوزير أحمد كسروي ثم عبد الحسين هجير الذى كان رئيسا للوزراء ، ثم الفريق رزم آرا وكان رئيسا للوزراء أيضاً ثم حسين قلى منصور رئيس الوزراء ، ثم قام حزب الشعب الإيرانى على أنقاض حزب بان إيرانيست بزعامة دار يوش فروهر ، أما الجبهة الوطنية فقد تشكلت من مؤيدى تأميم البترول وضمت الأحزاب المؤتلفة مع حزب إيران بالإضافة إلى حزب الشعب ، ثم ظهر حزب إيران الجديدة « إيران نوين » وحزب الجماهير « مردم » وحزب بان ايرانيست ، وحزب الإيرانيين ، وهذه الأحزاب الأربعة هي التى توحدت فى حزب النهضة « رستاخيز » . (١)

وقد ظلت أمور حزب النهضة مستقرة طوال الفترة التى تولى فيها أمير عباس هويدا منصب السكرتير العام للحزب مع بقائه رئيسا للوزراء . حيث تمكن بخبرته السياسية أن يسكت بصورة أو بأخرى أى صوت يقوم لمعارضته ، ولكن يبدو أن الشاه قد أحس بهذه السياسة الدكتاتورية لهويدا وقدر أصداءها السيئة على العالم وفى المنطقة التى كان يسعى لزعامتها فعزل هويدا عن رئاسة الوزراة وسكرتارية الحزب وعينه وزيراً للبلاط الإمبراطورى ، وأسند الوزارة إلى جمشيد آموزجار الذى مالبث أن أختير سكرتير أعاما للحزب ولكن آموزجار خشى من أن تسير الأمور بالشكل الذى كان قدر سمه لها هويدا من قبل فأعلن فور اختياره سكرتيرا عاما للحزب أن سكرتارية الحزب ليست وظيفة دائمة لرئيس الوزراء وأنه سيسعى لاتخاذ قرار آخر فى هذا الشأن فى المؤتمر العادى للحزب بعد عامين ونصف . (٢) ولكن هـذا كان معناه أن يجمع آموزجار

---

(١) صحيفة رستاخيز العدد ١٠٣٩ بتاريخ ٢٤ مهرماه سنة ١٣٥٧ هـ . ش . والعدد ١٠٤٠ بتاريخ ٢٥ مهرماه سنة ١٣٥٧ هـ . ش، والعدد ١٠٤١ بتاريخ ٢٦ مهرماه سنة ١٣١٧ هـ . ش .

(٢) صحيفة آيندكان العدد ٣٠١٤ لسنة ١١ بتاريخ ١٥ دىماه سنة ٢٥٣٦ ملكية .

السلطات فى يده طوال عامين آخرين ونصف، إلا أنه حاول أن يتنازل عن عدد من مسئولياته لمنسقى الجناحين اللذين يتكون منهما الحزب وهما الجناح التقدمى برئاسة عبد المجيد مجيدى والجناح الليبرالى برئاسة هو شنج أنصارى ، وقد كان من المتوقع أن يعوض تنافس الجناحين فى تقديم الخدمات للجماهير عن فقد ان الشكل الديمقراطى لتعدد الأحزاب ، إلا أنه قد ظهر بوضوح بعد ذلك أن كل جناح كان يسعى للحصول على رضاء الشاه من ناحية وتحقيق أكبر قدر من المكاسب المادية والإعلامية لذلك فإن أسلوب كل جناح على حده وأسلوب الحزب بصفة عامة أثار سخط الجماهير ولم يحقق رضاء الشاه ، لأن الشاه كان يأمل فى وجود مناخ سياسى مفتوح داخل إطار الوحدة الوطنية المتمثلة فى تجمع طوائف الشعب وطبقاته داخل الحزب واحد حيث قال فى رسالته إلى الحزب بمناسبه عقد دورته غير العادية احتفالا بمرور خمسة عشر عاما على ثورة الشاه والشعب : إن تبادل وجهات النظر والمعلومات بين جماهير الشعب وأجهزة الدولة عن طريق تنظيمات الحزب أمر له أهمية خاصة وينبغى أن يتحقق بصورة عملية حتى تكون قرارات الحكومة وأعمالها موضع ترحيب الجماهير وتأييدهم .(١)

لقد كان هذا الأمر بمثابة أمنية يرجوها الشاه من أجل الوصول إلى الحضارة العظيمة التى ظل يحلم بها لإيران ، ولكن الذى حدث هو أن انفلقت القيادات الحزبية على نفسها وبدلا من أن تلتزم بتوجيهات الشاه فى جعل الحزب مركز تجميع لكافة قوى الشعب والإستفادة من ذلك فى رقى البلاد وتقدمها راحت تفلسف تصرفاتها بعيداً عن المنطق الشعبى مما جعل المشاكل تتفاقم وتنذر بالخطر ، ويبدو أن الشاه قد أحس بخيبة أمل فى قياداته الحزبية رغم إخلاصها الشديد وولائها له حيث أنه وجدها عاجزة عن أن تفهم مايرمى إليه ، لذلك كان مضطرا لأن يخفف قبضته على الحياة السياسية وتدخله فيها حتى يتيح الفرصة لظهور قيادات سياسية جديدة تجمع بين التقدمية والولاء للملك ، ولقد عبر الشاه عن خيبة أمله

(١) المصدر السـ

هذه فى خطابه إلى لجنة دراسة قضايا إيران التى شكلها لمعالجة الأوضاع التى أشرنا إليها فقال : لقد أثار الحزب عند ولادته آما لا كبار ولكن مسيرته لم تخرج لناما كان ينتظر منها ، ولم يستطع جناحاه أيضاً أن يوجداً أرضية فكرية ، ولكنى على يقين من أن الكثير منا قد حاولوا أن يحققوا النجاح اللازم وإننى أؤكد أن هذه اللجنة سوف تتجنب اى نوع من ابحث الشخصى او الفردى او التابع من التكتلات الخاصة . (١)

وبدأت ريح التغير تهب على اثر قيام هذه اللجنة بعملها حيث تقدمت باقتراح إنشاء جناح ثالث لحزب النهضة الحاكم حتى يدفع إلى حدوث تغييرات فى المحيط السياسى لإيران ويحرك النشاط الحزبى من جديد ، ولقد كانت الإستجابة لهذا فورية حيث قام هذا الجناح الثالث بالفعل برئاسة الدكتور هو شنج نهاوندى الذ كان يرأس جامعة طهران ولجنة التقيقات الملكية . إلا أن بعض الشخصيات السياسية البارزة فى إيران فى ذلك الوقت رأت انه لاجدوى من هذه المحاولات التى ترمى لبعث الحزب من جديد فبدأت تنسلخ عن الحزب بل وتعيد إنشاء احزاب كانت موجودة من قبل وكان اول هذه الأحزاب التى عادت للظهور من جديد على مسرح السياسة الإيرانية هو حزب بان إيرانيست بزعامة محسن بزشكبور عضو مجلس النواب وانضم إليه عدد من انواب مثل برويز ظفرى والدكتور حسن طبيب ومنوجهر يزدى ، وهذه فى الواقع ظاهرة تستحق التسجيل حيث أنها تعثر اول إنشقاق حدث فى مجلس النواب على حزب النهضة حيث كان هؤلاء اعضاء فى الأجنحة المختلفة للحرب . ولقد علقت محطة الإذاعة البريطانية على هذا الأمر بقولها : إنه تحول خطير فى ساحة السياسة الإيرانية ، ووصفة وكاله انباء اليونايتدبرس بأنه رد فعل لتصرفات السلطات الرسمية ، وقد تركت السلطات الصحف تنشر هذه التعليقات دون حرج (٢) ولاشك ان هذا

(١) صحيفة إطلاعات العدد ١٥٦٤١ بتاريخ ٣٠ خردادماه سنة ٢٥٣٧ ملكية .
(٢) الصحف الإيرانية ٢٠ يونية سنة ١٩٧٨ م

السماح له مغزاه السياسى الذى يشير إلى الرغبه فى إحداث تغيير وفتح الباب لبعض الحريات وحث المسئولية على الإهتمام بأعمالهم أمام المعارضة الجديدة .

ويبدو أن هذا الإنشقاق قد شجع أعداد أخرى من الزعماء السياسيين فى مجلس النواب الإيرانى علي الإنسلاخ من حزب رستاخيز وإنشاء أحزاب أخرى فقد إستطاع أحمد بنى أحمد نائب تبريز أن يشكل حزبا جديداً بمعاونة أحد عشر عضوا فى مجلس النواب وسماه الحزب الإشتراكى الديمقراطي ، وبدأ المعلقون السياسيون الإيرانيون والأجانب يعبرون عن توقعاتهم بتحول إيران من نظام الحزب الواحد إلى نظام تعدد الأحزاب مرة أخرى ، ولقد عزت وكالة أنباء رويتر هذا الإنسلاخ عن الحزب الواحد بأن هذا الحزب صار موضع نقد الشاه . (١)

— ظهور معارضة حقيقيه فى البرلمان .

من الطبيعى أنه على أثر هذه الإنشقاقات فى مجلس النواب أن تشتعل الحرب بين الأطراف المختلفة وبين حزب رستاخيز وحكومته ، واشتدت حرارة المعارضة مع اشتداد حر الصيف ، ونقلت الصحف الفارسية مادار فى الجلسات العاصفة التى عقدها مجلس النواب من حرب كلامية بين نواب حزب رستاخيز والنواب المنشقين وقد وضح جليا من مناقشات المجلس فى جلسة الأربعاء ٢١ يونية سنة ١٩٧٨م أن الغلبة كانت لأنصار حزب النهضة وحكومته ، بل لقد وجة الإتهام إلى محسن بزشكبور زعيم حزب بان إيرانيست بأنه يجر البلاد إلى الفتنة وإزاء خروج رئيس المجلس من القاعة معترضا علق بزشكبور علي ذلك ساخرا بأن الأغلبية هى التى تعترض على الأقلية (٢) وإن دل هذا التعليق علي شىء فإنما يدل على مدى إحساس زعماء حزب النهضة بالعجز إزاء قلة من المعارضين الذين إنشقوا عن الحزب مع درايتهم وإطلاعهم على حقائق الأمور ، بل لقد ذهب المعارضون إلى حد أن طالبوا

---

(١) صحيفة كيهان العدد ١٠٤٩٥ بتاريخ ٣١ خردادماه سنة ٢٥٣٧ ملسكية .
(٢) صحيفة إطلاعات العدد ١٥٦٤٣ بتاريخ أول تيرماه سنة ٢٥٣٧ ملسكية .

من رئيس مجلس النواب زيادة عـــدد جلسات المجلس الأسبوعية حتى يمكن للاعضاء أن يسألوا الحكومة عما يريدون ، بل لقد ارتفعت الأصوات التى تقول إن الحرية مهما بلغت فى درجتها لاتشكل خطرا على البلاد ، وهذه العبارة قد وردت على لسان محسن بزشكبور وهى جديدة على المناخ السياسى إذ لم يكن السياسة يجرؤون على التحدث عن الحرية بمثل هذه العبارات قبل ذلك والأهم من ذلك أنه لم يرد أحد من الموالين للنظام على هذه العبارة بشكل أو بآخر . (١) بما يشير إلى أن الأوضاع السياسية فى إيران بدأت تدخل مرحلة جديدة ، ولقد حاول أحمد بنى أحمد زعيم الإشتراكيين الديمقراطيين أن يزيد من حدة الانشقاق فى المجلس على حزب النهضة فحاول على حد تعبير صدرى كيوان نائب الأهواز فى المجلس أن يقيم جسرا بين الماركسيين المتخفين وبين رجال الدين . (٢) وهذه المحاولة أيضا تشير إلى كيفية السعى لإسقاط النظام القائم وإن كان قـــد بدا من المستبعد فى ذلك الوقت تحالف رجال الدين مع الماركسيين حتى ولو كانوا متخفين فى جماعات أخرى . ولقد بدأت الحكومة أمام هذا الضغط من قبل المعارضة المنشقة فى محاولة أمتصاص هـــذا الضغط بأن تعلن عن تقبلها بصدر رحب النقد الموجه لها من قبل أعضاء المجلس المنشقين عن حزب الأغلبية ، فقد أعلن داريوش همايون وزير الإعلام والسياحة للصحفيين الذين التفوا حوله ليسألوه عن موقف الحكومة من هذه الجماعات المنشقة : إن إيران سوف تستمر فى جهودها من أجل توسيع البحث السياسى بين الجماعات السياسية المختلفة وفى الصحافة وأضاف أن الحكومة سوف تتقبل نقد الجماعات المعارضة المنشقة عن الحزب وسوف تسمح بجدل أكثر للجماعات السياسية المختلفة وسوف تقدم للبرلمان تعديلا جديداً للائحة الإنتخابات يهدف إلى إصلاح هذه اللائحة وسيتضح موقف هذه الجماعات من الترشيح للانتخابات بعد مناقشة المجلس لهذا التعديل (٣) .

---

(١) صحيفة كيهان العدد ١٠٤٩٨ بتاريخ ٤ تيرماه سنة ٢٥٣٧ ملكية .
(٢) صحيفة كيهان العدد ١٠٥٠٢ بتاريخ ٨ تيرماه سنة ٢٥٣٧ ملكية .
(٣) صحيفة رستاخيز العدد ٩٥٣ بتاريخ ١٠ تيرماه سنة ٢٥٣٧ ملكية .

علي أن وزير الإعلام قـــد نفى نفيا قاطعا إعتبار حزب توده الشيوعى ضمن الجماعات السياسية المسموح لها بالجدل والنقد وممارسة النشاط السياسى .

ولاشك أن هذه التنازلات السياسية من جانب الحكومة قد خلقت حالة من الانتظار والترقب فى إيران لما يمكن أن ينجم عن انفتاح المحيط السياسى خاصة وأن الحكومة قد رحبت بعودة المواطنين الذين كانوا يعارضون النظام وغادروا إيران خوفا من بطش الحكومة ، وأكدت أنها ستسمح لهم بحرية النقد والعمل السياسى ، ولم ينتظر حزب النهضة أن تفوته فرصة التغيير فسارع بالقيام بتعديلات فى قياداته فقد اختير أمير قاسم معينى منسقا للجناح الليبرالى بدلا من هوشنج أنصارى ، كما حاول مساعد والسكرتير العام للحزب أن يبذلوا نشاطاً غير عادى من أجل رفع أسهم الحزب فأكد الدكتور محمد رضا عاملى طهرانى مساعد السكرتير العام للحزب أنه يؤيد أفكار المعارضين ولكنه لايقبل التسرع فى تنفيذها (١) كذلك أكد الدكتور ميرخانى مساعد السكرتير العام أيضاً أن قضية الفرد ليست مطروحة فى نشاط الحزب كما أن السلطة فيه ليست فى أيدى جماعة خاصة ولكن القدرة الحقيقية للحزب تنبع من القاعدة العريضة التى يتشكل منها (٢) كذلك بدأ الدكتور هوشنج نهاوندى منسق الجناح الجديد فى الحزب العمل على كسب تأييد القواعد الشعبية لجناحه فأكد أن من أهداف الجناح المحاربة المستميتة للفساد والتضخم اللذان ينخران فى جسد البلاد ويقضيان على القيم الخلقية وطالب الحكومة بعدم الخوف من انفتاح المحيط السياسى فى البلاد ، كما طالبها بضغط الإنفاق الاستهلاكى والقضاء على الفساد والانحراف (٣) وقد بدأ الحزب عقد الندوات التى تناقش قضية الحرية وتعدد الأحزاب ودعا إلى هذه الندوات العديد من رجال العلم والفكر والصحافة ، كما بدأت الحكومة سلسلة من الإجراءات التى حاولت أن تعبر بها عن رغبتها فى الإصلاح فقررت إعادة النظر فى أحوال

---

(١) صحيفة إطلاعات العدد ١٥٦٥١ بتاريخ ١١ تيرماه سنة ٢٠٣٧ ملكية .

(٢) صحيفة رستاخيز العدد ٩٥٤ بتاريخ ١١ تيرماه سنة ٢٠٣٧ ملكية .

الوطنين ، وزادت من أعداد الطلاب المقبولين فى الجامعات ومن عدد الحجاج لأداء الفريضة ، كما خصصت يوما من الأسبوع للقاء أفراد الشعب بالمسئولين فى إداراتهم ، كذلك أصدرت عددا من القرارات للتخفيف من أزمة الإسكان ، وأصدرت القرارات بنقل عدد من الكليات والمعاهد العليا من طهران إلى المحافظات الأخرى ، وكذلك قامت بتغيير مدير شركة البترول الوطنية :

ولقد حاول الجناح التقدمى أن يلحق الجناح الليبرالى فى إحداث تغييرات واضحة فى قياداته وسياساته فاختار السناتور مزدهى منسقا عاما للجناح والذى أعلن على الفور أن كل المشكلات الاقتصادية يمكن حلها فى هدوء وثقة وهاجم الأوضاع الداخلية فى الحزب وطالب باصلاحات فورية فى لوائحه ونظمه (١) .

— تمزق تحالف السلطة :

لقد فجر هوشنج نهاوندى منسق الجناح الجديد فى الحزب الموقف عندما نشر تقرير لجنة تقصى الحقائق التى شكلها الشاه برئاسته ، ويجدر بنا هنا أن نقف عند أهم محتويات التقرير حيث جاء فيه ما يلى : « إن التخطيط الاقتصادى والاقتصاد المنظم هو أساس الاقتصاد الديمقراطى ، وإن الديمقراطية الاقتصادية هى من الأسس الفلسفية لثورة الشاه والشعب ، وإن مقياس التضخم فى الاقتصاد الإيرانى خلال السنوات الأخيرة قد عاق تنفيذ هذا المبدأ الهام ، وتسبب فى هذه المشاكل السياسية والاجتماعية ، فى حين كانت السياسة الاجتماعية للثورة هى الميل إلى التوزيع العادل للدخول وضغط التضخم خلال السنوات الخمس الأخيرة بعكس ما تم تنفيذه بالفعل . ولقد كان الامبراطور يدرك هذه الحقيقة حيث أشار إليها فى لقائه الأخير مع لجنة تقصى الحقائق وحذر من أخطارها وطالب الحكومة بمكافحة التضخم ، ولاشك أن عدم انسجام القوانين المالية والضريبية مع التغيرات الاقتصادية وضعف البحث وقصوره ، وأحيانا فساد الأجهزة قد أدى إلى الخشونة بل والعنف حيث لم

---

(١) صحيفة إطلاعات العدد ١٥٦٥٤ بتاريخ ١٠ تيرماه سنة ٢٥٣٧ ملكية .

يـكن فقط من أسباب اليأس والضعف النفسى للمنتجين بل صار من أسباب هروبهم من الضرائب إما عن طريق المغالطة فى الحسابات أو رشوة الموظفين ، كذلك فإن فقدان التنسيق التنفيذى وفقدان التخطيط فى الشئون الاقتصادية والعمرانية خاصة بعد سنة ١٩٧٤م كما أن الزيادة المفاجئة فى دخـل البترول مع ظهور الفساد فى الأجهزة التنفيذية جعل كل شىء يمكن شراؤه بالمال ، ثم إن الزيادة السريعة فى الأسعار فى قطاع الخدمات الحكومية وتشديد الضرائب دون دراسة ووضع ضوابط غير موزونة وزيادة سعر الكهرباء والماء والتليفون والبرق مع عدم تحسن أسلوب هذه الخدمات أدى إلى أن يتأسى قطاع الإنتاج بأسلوب الحكومة ويرفع الأسعار أكثر من ذى قبل ، وقد انتهت هذه الأمور إلى الاضطرابات الاقتصادية والإجتماعية . وقد أقترحت اللجنة عدة حلول طالب بتنفيذها على الفور هى :

أولا : تنفيذ خطة منطقية منضبطة للانفاق العام مع وضع أولويات للبرامج الدفاعية والثقافية والتعليمية عن طريق تخفيض المؤسسات الإدارية وحذف الوحدات المتكررة وخفض عدد كبار الموظفين داخل البلاد وخارجها وخاصة المؤسسات غير الحكومية التى ترتزق من الخزانة العامة .

ثانيا : إعادة النظر فى السياسة الاعتبارية بهدف خفض الاعتمادات الاستهلاكية لصالح أعتمادات الإنتاج ومطابقة السياسة المـالية والاعتمدات بتقليات النشاط الاقتصادى .

ثالثا : إعادة النظر فوراً فى السياسة الضريبية عن طريق تجنب زيادة الضرائب غير المباشرة وأسعار الخدمات والمنتجات الحكومية وخفض بعضها وتقليل الضغط الضريبى على الموظفين وإصلاح الأنخفاض فى الدخل العام عن طريق تقليل الإنفاق العام وزيادة ميزان وصول الضرائب من الفئات التى تهرب من دفعها .

رابعا : حل الغرفة التجارية فور الاعتماد كمؤسسة اجتماعية ماهمة عن فلسفة الثورة البيضاء بقوانين بعض الدول الأجنبية فى القرنين السادس عشر والسابع عشر

الميلادى والبلاد على أعتاب الألف الثالثة ، وضرورة أختيار وسيط آخر عن طريق النقابات الصنفية الواقعية والديمقراطية ، وتفويض الرقابة على الأسعار للهيئات الحكومية المعنية .

خامساً : إلغاء بعض قوانين الاحتكار فى الاستيراد وتوفير الميكنة الاقتصادية الحرة فى السوق التجارى :

سادساً : تعديل اللوائح الجمركية حول بعض المنتجات المحلية دون أن تؤثر على السياسة الصناعية فى البلاد .

سابعاً : الإسراع فى معدل تنفيذ المشروعات وخاصة تلك التى لم تتم وإيصالها إلى مرحلة الاستفادة منها ، وإلغاء كافة المعوقات واللوائح التى تعوق تنفيذ المشروعات . وبناءاً على هذا كله تقترح اللجنة تشكيل هيئة لوضع سياسة لمكافحة التضخم تقوم على الأسس التى ورد ذكرها فى التقرير وتحظى بالأولوية الفورية فى السياسة العامة للبلاد (١) :

ومن الواضح أن هذا التقرير كان يعبر من ناحية عن وجهة نظر الشاه ويؤكد ماحذر منه ومادعا إليه ، ومن ناحية أخرى كان يهاجم سلطتين قويتين فى البلاد هما الحكومة والإتحادات النقابية ، وكان من الطبيعى أن يثير هذا التقرير موجات من ردود الفعل خاصة من جانب الحكومة والاتحادات النقابية ولكن رد الفعل أختلف بين هاتين السلطتين ففى حين تجاوبت الحكومة مع التقرير فأعلنت حرية المظاهرات السياسية والاجتماعية تحت رقابة القانون وتقديم لائحة بذلك إلى البرلمان خلال ثلاثة أشهر ، كما لم تتدخل فى أنتخابات نقابة المحامين القوية مماسمح باختيار شخصيات متشددة معروفة بميولها الثورية مثل حسن نزيه النقيب وعبد الكريم أنوارى وهدايت الله متين دفترى نائبى النقيب (٢) .

(١) صحيفه اطلاعات العدد ١٥٦٥١ بتاريخ ١٩ تير سنة ٢٣٥٧ ملكيه
(٢) صحيفة كيهان العدد ١٠٥١١ بتارخ ٢٠ تير سنة ٢٩٥٧ ملكيه

إلا أن اتحاد الغرف التجارية والصناعية والزراعية أصدر بيانا استنكر فيه اقتراح لجنة تقصى الحقائق الملكية بحل هذا الاتحاد ووصف البيان رئيس اللجنة بأنه كان سبب اضطرابات الجامعة عندما كان رئيسالها ، وجاء فى البيان أن اقتراح حل الاتحاد يعتبر إهانة لطبقة التجار الوطنية الكادحة وهجوما عليها فى حين أن هذه الطبقة ضحت بالكثير فى سبيل إيران وإن هذا الاتحاد ظهر بموجب القانون وبموافقة نواب الشعب الإيرانى لذلك فإن اقتراح حله إهانة للسلطة التشريعية كذلك وإذا كان لدى اللجنة خطة إصلاحية فلتجلس مع مجلس الاتحاد لمناقشتها (١) وقد حاولت لجنة تقصى الحائق الملكية الرد على هذا البيان فاتهمت الاتحاد بأنه سبب الظلم الواقع على المستهلك والغلاء واحتكار السلع بالإضافة إلى المصروفات الباهظة لموظفى الاتحاد والإداريين إلى جانب أستغلال الأتحاد لتحقيق مصالح شخصية لقياداته وأصرت اللجنة على اقتراحها بحل الأتحاد (٢) والواقع من سند الاتحاد فى الرد على اللجنة بشرعية الاتحاد يشير إلى أن النظام الفساد الذى كان يزيف أنتخابات هذه الأتحادات ويفسدها فانقلبت هذه الاتحادات ضده عندما حاول الإصلاح ، وقد اشتدت المعركة على صفحات الجرائد بين اللجنة واتحاد الغرف وقد شجع ذلك الحكومة على الدفاع عن نفسها أمام تقرير اللجنة فأعلن وزير الاقتصاد والمالية أن تصورات اللجنة خاطئة وأن حساباتها غير دقيقة وأخذ يبرر إجراءات الحكومة استنادا إلى تعليمات الشاه مؤكدا حرص الحكومة على توفير العدالة الاجتماعية والرفاهية ، وقد لاحظت اللجنة أن موقفها سوف يضعف إزاء الاستناد إلى توجيهات الشاه ، فأعلنت أن كل من يعترض على تقرير اللجنة إنما يخدم الشيوعية ، وأن هدف اللجنة هو دعم الوحدة الوطنية وليس الدخول فى مهاترات كلامية مع المغرضين وأصحاب المصالح الشخصية (٣) والواقع أن الأسلوب الذى كان الشاه قد أتبعه فى الماضى من أجل إخضاع كافة الأجهزة

(١) المرجع نفسه .

(٢) نفسه .

(٣) صحيفة كيهان العدد ١٠٥١٢ بتاريخ ٢١ تير سنة ٢٣٥٧ ملكيه

لسلطته ، وإحكام قبضته عليها كان له أثره السيء عندما فكر فى الإصلاح إذ انقلبت هذه الأجهزة التى عودها على هذا الأسلوب المفسد ضد دعوته الإصلاحية متشبثة بما حققته من مكاسب فى ظل الأسلوب القديم فى الإدارة ، وهكذ ابدأ التشقق يسرى فى جسم تحالف السلطة بين مؤيد لرغبة الشاه الإصلاحية وبين معارض يسعى للمحافظة علي مكاسبه .

وقد حاولت الحكومة أن تقوم بعدد من الإجراءات التى تشير إلى محاربتها للتضخم الذى كان القضية الأساسية فى تقرير لجنة تقصى الحقائق الملكية فثبتت أسعار التعامل فى الأراضى والمبانى ، ورفعت مرتبات كافة العاملين فى الدولة ، وزادت من نسبة الإعفاءات الضريبية وخفضت شرائح الضرائب حتى يحدث التناسب المطلوب بين مستوى المعيشة ودخل العاملين ، ثم عمدت الحكومة إلى محاولة تدعيم نظام اللامركزية فمنحت المحافظ سلطات أوسع فى إصدار القرارات والتصرف داخل إطار المحافظة وأعلنت أن الوزارات فى طهران ستكون بمثابة قيادة تخطيطية .

ويبدو أن نتائج الانتخابات الأخيرة فى نقابة المحامين وإحتلال الأحرار المتشددين مقاعد مجلس الإدارة جعلت النقابة بعد أن كانت عضوا فى تحالف السلطة تتدخل بصورة مغايرة لأسلوبها السابق فى توجيه الأحداث السياسية فى إيران حيث أعلن حسن نزيه نقيب المحامين أن الدفاع عن الحرية مسئولية كل محام ، ثم خرج بعد اجتماع مجلس إدارة النقابة ليعلن مطالبة النقابة بالدفاع عن المتهمين السياسيين فى المحاكم المدنيه والعسكرية ومطالبتها أيضا بإعادة محاكمة المعتقلين السياسيين (١). وقد قابل هذا التحرك من جانب نقابة المحامين تحرك آخر من جانب أجنحة حزب النهضة حيث طالب الجناح الليبرالى بأسلوب إستعراضى بضرورة الإسراع فى منح حرية الصحافة والبيان والمظاهرات ، كما بدأت سلسلة من الاستقالات بين

---

(١) صحيفة آيند كان العدد ٣١٦٧ سنه ١١ بتاريخ ٢٤ ابر سنة ٢٣٥٧ ملكية

سكرتيرى الحزب فى المحافظات بدأت باستقالة الدكتور محمد عاملى طهرانى مساعد رئيس الحزب عن طهران ، وعلى أثر ذلك أصدر الحزب بيانا أعلن فية أن هذه الاستقالات إنما ترجع إلى عدم كفاءة المستقيلين وأن الحزب قد أختار غيرهم (١) وبدأت سلسلة من إجتماعات المكتب السياسى لحزب النهضة من أجل تدارك الموقف وأعلن المكتب فى النهاية أن كل جناح فى الحزب سوف يعمل مستقلا وسوف يدخل الانتخابات القادمة ببرنامجه المستقل والمنشقين الحق فى دخول الانتخابات بصفة مستقلة وأنه سوف يحدث تغييرات واسعة فى كادر زعامة الحزب وأن حكومة الحزب سوف تسمح للجماعات المخالفة بحرية العمل والدعاية فى الأنتخابات (٢) وقد بدأ بالفعل كل جناح فى إعلان سياسته والخط الذى يسير عليه وأعلن الجناح الليبرالى محاربته للفساد وقتل الأفكار ومحدودية التعبير والأنحياز إلى اليمين المفرط أو اليسار المغالى ، كما أصدرت الحكومة التى يشغل أعضاء هذا الجناح معظم وزاراتها أوامرها بتصفية العناصر الفاسدة فى الإدارات والمصالح والمؤسسات وأعلن وزير العدل أن التصفية ستبدأ بكبار الموظفين وتتم تحت إشراف لجنة من أربعة وزراء تحت رئاسته وعضوية وزير البرق والبريد والهاتف ووزير التربية والتعليم ووزير الإعلام والسياحة ووزير الدولة لشئون البرلمان (٣) وقد بدأت الأطراف المختلفة فور هذا الإعلان فى كشف أخطاء بعضها البعض وبدأت الصحف تتابع بالنشر والتشهير أولئك الذين يشتبه فى مسئوليتهم حول خطأ أو تقصير أو أختلاس أو تزوير أو رشوة وكان أول ضحية على مذبح الأزمة هو عبد الله جوانشير وكيل وزارة الزراعة وتعمير القرى والعضو المنتدب فى مجلس إدارة المؤسسة المركزية للتعاون الريفى (٤) كذلك بدأ رئيس الوزراء يحذر أعضاء حكومته والعاملين فيها من الاستفادة بالأموال الحكومية فى تحقيق

---

(١) صحيفة كيهان العدد ١٠٥١٥ بتاريخ ٢٥ تير سنة ٢٣٥٧ ملكية

(٢) صحيفة إطلاعات العدد ١٥٦٦٣ بتاريخ ٢٦ تير سنة ٢٣٥٧ ملكية

(٣) صحيفة اطلاعات العدد ١٥٦٦٦ بتاريخ ٢٩ تير سنة ٢٣٥٧ ملكية

(٤) صحيفة آيندگان العدد ٣١٧٤ س ١١ بتاريخ أول مرداد سنة ٢٣٥٧ ملكية

مكاسب شخصية أو الأستفادة من مناصبهم في تحقيق مصالح مادية مؤكد أنه لن يقف إلى جانبهم بل وسيقدمهم للمحاسبة ، كما أقدم جمشيد آموزجار على إجراء تعديل وزاري في حكومته من أجل تدعيمها في مواجهة موجة النقد الحاد التي أثارتها المعارضة والتي ازدادت حدة بعد انفتاح المحيط السياسي ، وقد أسفر التعديل الوزاري عن خروج الدكتور شيخ الإسلام زاده وزير الصحة وتعيين السناتور نصر الله مقتدر مزدهي مكانة ، كما عين منوچهرا گاه نائبا الرئيس الوزراء ووزير دولة للشئون الاقتصادية والتعمير ، وترك مرتضى صالحي وزارة الطرق إلى وزارة الدولة لشئون التخطيط والميزانية ، وعين مهدي صفويان وزيرا للطرق والنقل . وواضح من هذا التعديل أن آموزجار كان يركز على الاستفادة من رجال الاقتصاد في علاج أزمة التضخم التي أثارت عليه جبهات المعارضة حتى من داخل حزبه وكان هذا التعديل هو ثالث تعديل وزاري خلال مائة وخمسة عشر يوماً ، وعلى الفور أعلن الوزراء الجدد برامجهم الإصلاحية حيث بادر مزدهي وزير الصحة إلى إعلان تصميمه على رفع المعاناة الصحية عن الشعب وإزالة سوء التفاهم بين الجماهير والخدمات الصحية الحكومية ، كما أعلن صفويان وزير الطرق والنقل عن التوسع في شبكة الخطوط الحديدية والطرق والمطارات وأعلن صالحي وزير التخطيط والميزانية عن الاهتمام باعتمادات التعمير والتنسيق بين المشروعات الجديدة والجارية (١) ولقد صاحب هذا التعديل الوزاري تغيير بعض رؤساء الجامعات التي ظهرت فيها بعض الأضطرابات فعين الدكتور مجير مولوى رئيسا لجامعة آذرآبادگان بتبريز والدكتور كاظم وديعى رئيسا لجامعة كتائب الثورة وقد أعلنا على الفور ضرورة إبعاد الحرس الجامعي عن الجامعات وإعطاء مسئولية النظام داخل الجامعة للطلاب (٢) ولعل هذا قد نبع عن فكرة إبعاد عناصر الاشتعال عن بعضها إذ أن الجامعة كانت مسرحا هاما تمثل عليه كافة الأتجاهات السياسية

---

(١) صحيفة كيهان العدد ١٠٥٢٣ بتاريخ ٣ مرداد سنة ٢٣٥٧ ملكية

المعارضة أدوارا مصيرية فى حياة البلاد ، ولقد ظلت الجامعات الإيرانية طوال فترة حكم الشاه خصما عنيدا للنظام بما كانت تتبناه من أفكار تحررية من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار ، حتى لقد سلك الشاه أساليب متعددة فى التعامل معها بين الإسترضاء والقهر ، حيث حاول إسكات الأصوات المعارضة لنظامه عن طريق إبعاد الأساتذة أو أعتقالهم أو فصلهم أو منع ترقيتهم أو تهديدهم فى أنفسهم وعائلاتهم، مع تعيين الموالين لنظامه فى الوظائف الحساسة بالجامعات وإغداق المزايا والهبات عليهم ، وقد حاول إرضاء الرأى العام فى الجامعات بتغيير كادر المرتبات والمكافآت الخاصة بهم فزاد دخلهم وأغرقوا بمزايا مادية لم يكن لهم عهد بها فجنح أكثرهم إلى السكوت والسلامة وبقيت بعض الأصوات التى تعلو بالمعارضة بين الحين والحين ، أما الطلاب فكانوا شغل النظام الشاغل حيث وجد دعاة الشيوعية بينهم أرضا خصبة لتربية الأفكار وبلورتها فى عقائد وتحريك هذه العقائد فى أنماط السلوك والإندفاع بهذا السلوك إلى أقصى غاياته لتطبيق العقيدة فكان للشيوعية الكثير من الدعاة والأنصار بين الطلاب يمدهم أربابهم بالكتب والمعلومات والمساعدات المادية ويجندونهم بالشعارات ويزودونهم بالأسحة لمواجهة النظام ، وفى مقابل هذا المد الشيوعى الجارف بين صفوف الطلاب ، حاول رجال الدين الإسلامى وحماة المذهب الشيعى إيجاد جدار قوى فى الجامعات يستطيع الصمود أمام هذه الأفكار الشيوعية نظريا ومكافحتها عمليا ، وكان من السهل على أصحاب هذه الدعوة أن يتغلغلوا فى صفوف طلاب الجامعات بحيث تمكنوا من تنفيذ فكرة هذا الجدار الواقى ، وكان من الطبيعى ألا يفكر النظام فى قهر هذه الجماعات الدينية بل غالبا ما كان يستفيد منها فى مواجهة الشيوعين الذين كانوا يتجنبون دائما مواجهة هذه الجماعات لأن هذه المواجهة لم تكن فى صالحهم بل إنهم على العكس من ذلك فقد حاولوا التقارب معهم والتعاون فى العمل ضد النظام والغريب أن الجماعات الإسلامية كثيراً ما كانت تخدع بهذه الدعوة وتمديد المساعدة لليساريين وتحميهم من تعقب النظام لهم ، وقدة تبع نظام الشاه ضد الطلاب المتمردين عليه أساليب شتى تنوعت بين القهر والتعذيب والسجن والحرمان من

إستكمال الدراسة والعمل على رسوبهم فى الامتحان بل وشراء البعض بالأموال والميزات ونشر الجواسيس بينهم لإثارة الرعب فى نفوسهم، كما ظل الحرس الجامعى شبحا متجسدا يستعرض قوة النظام أمامهم، ولقد ابتكر النظام فى تعامله مع الطلاب أسلوب المنح بالأجل حيث سهل على الطلاب دخول الجامعات عن طريق المنح التى تقدمها الحكومة للطلاب فى مقابل تعهد بأن يعملوا بعد تخرجهم فى خدمة الحكومة لذلك كان التعهد قيدا يكبل الطلاب ويجعلهم دائما تحت رحمة الحكومة، ولما لم يكن أمام الطلاب عن اختيار آخر فقد إلتحق معظمهم عن طريق هذه المنح لارتفاع تكاليف التعليم الجامعى، وكانوا ينتظرون لحظة يتمكنون فيها من التخلص من قيود النظام [1] ولقد نجح الطلاب فى إيجاد أرضية للعمل ضد الحكومة والنظام ولرفع أصواتهم بمطالبهم بل وإجبار النظام على الاستماع لهم وتلبية مطالبهم، وقد تلاقت مطالب الأساتذة مع مطالب طلابهم عندما اجتمعوا فى جامعة طهران واتفقوا على رفع عدد من المطالب إلى الحكومة وتتلخص هذه المطالب فى :

١ — إلغاء الحرس الجامعى.

٢ — ضمان حرية القول والبيان والفكر فى شئون التعليم.

٣ — إحياء الإستقلال الكامل للجامعات ومعاهد التعليم العالى.

٤ — إعادة الجامعيين الذين طردوا من الجامعة لأسباب واهية أو استقالوا بسبب مضايقات النظام لهم وتعويضهم وإعادة مكانتهم وحيثيتهم إليهم.

٥ — عدم تدخل لجان تفتيش العقائد فى شئون الجامعات.

٦ — توفير المناخ الملائم للطلاب للدراسة وإحياء النشاط الاجتماعى للطلاب.

٧ — إعادة الطلاب الذين طردوا من الجامعات بسبب النشاط السياسى [2].

---

(١) كان الكاتب شاهد عيان أثناء فترة بعثته الدراسية فى جامعة طهران
(٢) صحيفة كيهان العدد ١٠٥٩١ بتاريخ ٢٩ مهر سنة ١٣٥٧ هـ . ش

وهذه المطالب رغم تعددها إلا أنها كانت أكثر مطالبهم تواضعاً واعتدالا لأن الحكومة عندما ترددت فى قبول هذه المطالب وإهمالها كثفت المعارضة الطلابية نشاطها ضد الحكومة والنظام وغالت فى مطالبها وسببت إزعاجا شديداً للنظام حتى فرضت الأحكام العرفية وأغلقت الجامعات ، مما أضطر هذه المعارضة إلى النزول للقاعدة الشعبية العريضة والاشتراك معها فى الكفاح لإسقاط النظام .

وقد بدأت مظاهر الاعتراض على الحكومة تتخذ شكلا أكثر عنفا حيث انتهزت بعض العناصر فرصة تشييع جنازة حجة الإسلام أحمد كافى أحد رجال الدين المعروفين وقامت بمظاهرات عدائية للحكومة أدت إلى إشتباك مع قوات الشرطة أسفرت عن قتل جندى وجرح أثنين وأربعين شخصا من الشرطة والمتظاهرين فى مدينة مشهد ، وقد تركت الحكومة الصحف بما فيها صحيفة رستاخيز الرسمية تنشر تفاصيل هذه الحادثة(١) .

وما أن أعلنت الحكومة عن محاكمة أربعة وعشرين طالبا وعاملا بتهمة الاشتراك فى المظاهرات والإخلال بالأمن والنظام وتحطيم واجهات المحلات والبنوك والتخريب فى مدينة بابل حتى حزم كبار المحامين من النقابة وجمعية الدفاع عن المتهمين حقائبهم إلى سارى لحضور المحاكمة والدفاع عن المتهمين ، وكان من بين المحامين عبد الكريم الأهيجى رئيس الجمعية ورضا معتمدى عضو مجلس النقابة وسيد أحمد صدر حاج سيد جوادى عضو الجمعية ، وقد بلغ عدد المحامين المسافرين إلى سارى أكثر من ثلاثين (٢) كما أصدر علماء مشهد بيانا إستنكروا فيه التعرض لمظاهرات مشهد أثناء تشييع جنازة حجة الإسلام أحمد كافى وسقوط القتلى والجرحى (٠) وقد شجعت هذه الأوضاع عددا من السياسيين القدامى على العودة إلى المسرح السياسى والظهور من جديد حاملين لواء الدعوة للاصلاح، ولعل

---

(١) صحيفة رستاخيز العدد ٩٧٤ بتاريخ ٤ مررار سنة ٢٥٣٧ ملكية

(٢) صحيفة كيهان العدد ١٠٥٢٥ بتاريخ ٥ مررار سنة ٢٥٣٧ ملكية

آيندكان العدد ٣١٧١ سنة ١١ بتاريخ ٧ مررار سنة ٢٥٣٧ ملكية

من أبرز هؤلاء هو الدكتور على أمينى رئيس الوزراء الأسبق الذى أصدر بياناً أكد فيه أنه لن يسكت بعد اليوم وقد استشرى الفساد وطالب بضرورة إيجاد وحدة أو اتحاد وطنى يضمن الحرية ويحافظ عليها (١) .

وقد نشطت قوات الأمن والشرطة فى تعقب المتظاهرين والقبض عليهم ومع شدة الحكومة فى مواجهة المظاهرات بدأ أنوع من الاعتراض والثورة المقنعة ضد النظام تحت دعاوى الإصلاح الدينى أتخذ العنف سبيلا وقد تجلى ذلك بوضوح فى عملية إحراق دور السينما والمسارح والملاهى الليلية والحانات ، وقد بدأت هذه الموجة من التخريب والإحراق فى طهران وأصفهان مع بداية شهر رمضان سنة ١٣٩٨ هـ [١٥ مرداد سنة ٢٥٣٧ ملكية] حيث أحرقت فى يوم واحد ثلاث دور للسينما وملهى ليلى فى كل من طهران وأصفهان (٢) .

— فشل الشاه فى احتواء الأوضاع الجديدة : ـ

وقد حاول الشاه أن يمتص هذه الثورة الدينية وهذه موجة من الاعتراض ضد النظام فأعلن فى حديث له بمناسبة ذكرى الثورة النيابية فى إيران أنه سوف يمضى فى منح الحريات إلى القـــدر الذى تتمتع به الدول الأوربية وطالب بأن تــكون الانتخابات حرة مائة فى المائة ، وأكد أن الاجتماعات حرة وحرية البيان والقلم مـكفولة فى حدود القانون وأنه سوف يقبل وينفذ رأى الشعب مهما كان ، وأنه ينبغى الاستعداد لإقامة حـكم ديمقراطى منذ الآن (٣) .

ولقد أحدث خطاب الشاه دويا هائلا فى الأوساط السياسية والمحافل الدولية وسارعت وكالات الأنباء إلى نقل انطباعاتها الفورية وتحليلاتها السياسية إلى جانب ردود الفعل العالمية وبات واضحا إجماع الجميع على أن الشاه قد أقدم على خطوة

(١) صحيفة اطلاعات العدد ١٥٦٧٣ بتاريخ ٧ مرداد سنة ٢٥٣٧ ملـكية
(٢) صحيفة كيهان العدد ١٠٥٣٢ بتاريخ ١٥ مرداد سنة ٢٥٣٧ ملـكية
(٣) المرجع السابق .

جديدة جريئة فى أسلوب حكمه السياسى وأنه قد أعطى امتيازات سياسية هامة للشعب أو بمعنى آخر قد قدم تنازلات هامة للشعب خاصة وأنه كان قد أشار فى خطابه الذى استغرق خمسين دقيقة ـ على غير العادة ـ إلى أعمال العنف والمظاهرات الأخيرة وأكد أنها لن تعوق مسيرة الديمقراطية فإن مصير البلاد والنظام الملكى ليسا لعبة يمكن اللعب بها مما يؤكد أن الشاه لوح بورقة الديمقراطية وتعهده الشخصى بالمضى نحوها فى مقابل الحفاظ على النظام الملكى واستقراره .

ولم يترك السياسيون المناهضون للنظام هذه الفرصة تفلت من أيديهم فقد بادروا بإعلان نشاطهم السياسى والحربى المستقل عن حزب النهضة ، بل وامتد أسلوب العنف إلى هذا النشاط فزادت المظاهرات المعادية للحكومة وكانت غالبا ماتنتهى إلى مصادمات بين المتظاهرين ورجال الشرطة والأمن إلى درجة أضطرت الحكومة معها إلى أن تطلب من البرلمان الموافقة على إقامة حكم عسكرى فى محافظة أصفهان المضطربة ، كما حاولت الحكومة أن تشدد من قبضتها على شيراز أيضاً فكانت تعتقل الكثيرين من المتظاهرين بتهمة التحريض على الفتنة ، وفى حين أعلن المتحدث الرسمى باسم الحكومة أن حداث الشغب الأخيرة إنما هى نتيجة طبيعية لمنح المزيد من الحريات والديمقراطية ، حذر اللواء ناجى قائد القوات المدرعة فى أصفهان من أنه اذا لم يقم حكم عسكرى فى أصفهان فإن الأوضاع سوف تكون وبيلة(١) .

ومع توالى المظاهرات وأعمال العنف كان الشاه يلوح بإطلاق سراح عدد كبير من المعتقلين السياسيين المتهمين بالإخلال بالنظام والأمن ، بل إنه بدأ نشاطا ملحوظا فى زيارة العمال فى مواقع عملهم والتحدث إليهم والموافقة على مطالبهم وحث المسئولين على حل مشاكلهم (٢) وقد مضى الشاه فى طريقه نحو إعطاء الحريات والديمقراطية خطوة أخرى حين أعلن فى خطابه بمناسبة يوم الجيش أنه

---

(١) صحيفة رستاخيز العدد ٩٩٠ بتاريخ ٢٤ مرداد سنة ٢٥٣٧ ملكية
(٢) صحيفة كيهان العدد ١٠٥٤٢ بتاريخ ٢٦ مرداد سنة ٢٥٣٧ ملكية

رغم عدم توقعه لحدوث مثل هذه المظاهرات وأعمال العنف التي يحركها الشيوعيون والماركسيون إلا أنه لن يتراجع عن قراره بمنح الحريات والديمقراطية بل إن الشاه أصدر أوامره إلى أفراد الأسرة المالكة والمرتبطين بها بالإقناع عن أي نوع من المشاركة أو التوصية لدى الأجهزة الحكومية أو القطاعين العام والخاص (١).

وقد كان أفراد الأسرة الملكية يهيمنون على الشركات والمؤسسات الحكومية وشركات القطاع العام ويتحكمون في جزء كبير من الاقتصاد الإيراني ويملكون الأسهم والسندات في الشركات والمؤسسات ولذلك فإن أوامر الشـــاه للأسرة الحاكمة بنقض يدها من التدخل في الإقتصاد الإيراني تعتبر بمثابة تنازل آخر من الشاه للشعب .

وقد حاول أعداء النظام أن يزيدوا من سخونة الأحداث فأقـدم بعض المتطرفين على إحراق دور السينما الرئيسية في عبدان بعد إغلاق أبوابها من الخارج على المشاهدين أثناء العرض مما أدى إلى احتراق ثلاثمائة وسبعة وسبعين شخصاً أحياء داخل دار العرض (٢) ولم يكن من المعقول أن يكون رجال الدين وراء هذه الحادثة وإنما المرجح أن الشيوعيين هم الذين قاموا بها ليوقعوا بين النظام ورجال الدين ولقد سارع رجال الدين إلى استنكار الحادث فأصدر آية الله العظمى شريعتمداري بيانا بذلك وأصدر أوامره لمندوبيه كي يقوموا بتحقيق مفصل حول هذه الحادثة (٣) .

كذلك اقتدى كبار رجال الدين بآية الله العظمى شريعتمداري فاستنكروا الحادث وقاموا بإرسال مندوبين عنهم للتحقيق ومن أبرز هؤلاء آية الله العظمى وحيـــدي ، آية الله العظمى شيرازي ، آية الله العظمى نوري ، آية الله العظمى

---

(١) صحيفة اطلاعات العدد ١٥٦٩٠ بتاريخ ٢٨ مررار سنة ٢٥٣٧ مليكية
(٢) صحيفة كيهان العدد ١٠٥٤٤ بتاريخ ٢٩ مررار سنة ٢٥٣٧ وملكية
(٣) صحيفة كيهان العدد ١٠٥٤٥ بتاريخ ٣٠ مررار سنة ٢٥٣٧ ملكية

گلبايـگانى ، آية الله العظمى نجفى مزعشى وكذلك الدكتور سيد عبد الرضا حجازى (١) .

وقد شغل هذا الحادث الأليم الرأى العام الإيرانى عدداً من الأيام وكان الموضوع الرئيسى للصحف والمحافل الرسمية والشعبية والأوساط الطلابية والعمالية .

— تشكيل حكومة جديدة :

وقد أقدم الشاه على إثر ذلك الحادث على خطوة أخرى من أجل إرضاء الرأى العام خاصة بعد إدراكه أن أعداء النظام قد فتحوا جبهة جديدة فى الصراع عن طريق إثارة المشاعر الدينية ، فقبل استقالة وزارة آموزجار واختار السناتور شريف إمامى رئيس مجلس الشيوخ لتشكيل الوزارة الجديدة من عناصر معتدلة لتكون حكومة مصالحة وطنية ، وما لبثت هذه الحكومة أن أعلنت أهدافها التى وضعت على رأسها تنفيذ القوانين الإسلامية ومحاربة الفساد وإقرار الديمقراطية وحرية الانتخابات وحرية نشاط الأحزاب وعدم التدخل فى السلطة القضائية والاهتمام بالشباب والجامعات وتدعيم الزراعة والإنتاج الوطنى وتوفير المياه والكهرباء والصحة والطرق وتعقب المتهربين من دفع الضرائب والقضاء على الروتين والمجاملات فى العمل والامتناع عن الأشياء الكمالية ومعاقبة المسئولين المخالفين وتدعيم السلطة التشريعية . ولقد كانت هذه الأهداف كافية لإرضاء الجماهير الساخطة أو تهدئتها على الأقل انتظاراً للتنفيذ، والواقع أن الحكومة بدأت أعمالها بداية طيبة حيث أعلنت إلغاء التقويم الامبراطورى والعودة إلى التقويم الهجرى الشمسى ، وقد كان الشاه قد أمر بالعمل بالتقويم الامبراطورى عند الاحتفال بمرور ألفين وخمسمائة عام على تأسيس الامبراطورية الإيرانية من أجل التعبير عن أصالتها وعراقتها وعظمة التاريخ الإيرانى والحضارة الإيرانية ومحاولة

---

(١) صحف إيران الصادرة بتاريخ ٣١ مرداد سنة ٢٥٣٧ ملكية

ربط الشعب بالنظام الامبراطورى ودفع الناس إلى الإيمان به خـــلال إيمانهم بحضارتهم وتراثهم العظيم. كما أصدرت حكومة إمامى قرارا بإغلاق كافة نوادى القمار والحانات والمحال الشبيهة (١) .

وقد أعلنت الحكومة الجديدة أنها سوف تتصل بكبار رجال الدين والجماعات الدينية والسياسية المختلفة من أجل إيجاد حلول سريعة المشاكل التى تعانى منها إيران ، كما بادرت بالاعتراف بقيام ثلاثة عشر حزبا وجماعة سياسية هى : جبهة إيران الوطنية التى يتزعمها كريم سنجابى وداريوش فروهر ومهندس حبيبى وشابور بختيار ، حزب الكادحين « زحمتكشان » بزعامة مظفر بقائى كرمانى ، حزب پان إيرانيست بزعامة محسن بزشكبور ومهندس ظفرى وحسين طبيب ، الحركة الراديكالية بزعامة رحمت الله مقدم مراغه اى ، حركة الحرية بزعامة مهدى بازرجان ويد الله سحابى ، الحركة الفكرية بزعامة على أصغر حاج سيد جوادى ، جمعية المدافعين عن الدستور بزعامة سيد مهدى پيراسته ، جمعية الدفاع عن الحرية وحقوق الإنسان بزعامة عبد الكريم هيجى ، الجمعية الوطنية بزعامة فضل الله صدر وزرين پور ، حزب الأحرار الإسلامى ، حزب إيران الديمقراطى بزعامة غلاميردولوى قاجار ، حزب آريا الاشتراكى بزعامة هادى سپهر ، الحزب الاشتراكى الديمقراطى بزعامة أحمد بنى أحمد ، هذا بالإضافة إلى قيام عدد من السياسيين البارزين بتكوين جماعات سياسية مستقلة مثل على أمينى ، الهيار صالح ، غلامحسين صديقى ، مهدى آذر ، ملكى ، محمد درخشش (٢) .

وكان من الواضح أن هذه الحكومة ليست حكومة تغيير شامل أو ثورى حيث يستطيع الدارس أن يتبين من تاريخ حياة شريف إمامى رئيس الوزراء نفسه أنه من مؤيدى النظام المخلصين للشاه وتدرج فى مناصب حكومية كثيرة فى عهد الشاه حيث بدأ حياته السياسية وكيلا لهيئة السكك الحديدية ، ثم رئيسا لمجلس

---

(١) صحيفة رستاخيز العدد ١٠٠٠ بتاريخ ٦ شهريور سنة ١٣٥٧ هـ . ش

(٢) رستاخيز العدد ١٠٠١ بتاريخ ٧ شهريور سنة ١٣٥٧ هـ . ش

إدارة هيئة أزرى فى وزارة قوام السلطنة ، ثم وزيرا للطرق فى حكومة رزم آرا، ثم مديرا الهيئة التخطيط فى وزارة الفريق زاهدى ، ثم وزيرا للصناعة والمعادن ، ثم رئيسا للوزراء سنة ١٣٣٩هـ. ش ، ثم رئيسا المؤسسة پهلوى سنة ١٣٤١ هـ.ش، ثم رئيسا لمجلس الشيوخ سنة ١٣٤٢هـ . ش ولمدة خمس عشرة سنة ، وقد قال عنه الشاه : كان فاهما لتحركات الغرب وتنظيمه جبهة معادية ضدى ليستعملها كاما اختلفت سياستنا ، لقد كان على أن آخذ بتحذيره حين أعلمنى منذ عشرين سنة بأن الولايات المتحدة تقف خلف التحركات الطلابية المعادية لى داخل إيران وخارجها وأنها مشغولة بتدبير مشاكل أخرى لى (١) .

لذلك فهو رغم انتمائه إلى أسرة من رجال الدين إلا أنه أنغمس فى السياسة وشارك فى صنعها من خلال هذا النظام ومن ثم فإن اختيار الشاه له لتشكيل الحكومة لايعنى التغيير الشامل بقدر ما يعنى محاولة الاستفادة بخبرته السياسية فى مواجهة الموقف المتوتر من ناحية ، وإرضاء رجال الدين الثائرين ضد النظام من ناحية أخرى ، وإن كان شريف إمامى قد حاول بإيعاز من الشاه الاتصال برجال الدين إلا أنه لم يجد الاستجابة الكافية من كثير منهم للتعاون معه ، وقد زاد من الشك فى قدرة الحكومة الجديدة على التغيير أو إرضاء الجماهير وتلبية احتياجاتهم أن شريف إمامى أبقى على عدد من وزراء حكومة جمشيد آموزجار بلغوا ستة أشخاص منهم من كان موضوع إعتراض الجماهير وجهات المعارضة وهؤلاء الستة هم:منوجهر كنجى وزير التربية والتعليم ، محمد يگانه وزير الاقتصاد والمالية . الفريق رضا عظيمى وزير الحربية ، الدكتور نصر الله مزدهى وزير الصحة ، محمد رضا أمين وزير الصناعة والمعادن ، الدكتور كريم معتمدى وزير البريد والبرق والهاتف ، بالإضافة إلى اختيار عدد من الوزراء فى الحكومات السابقة والذين لم يكونوا موضع ترحيب أو رضاء من الجماهير والمعارضة وهم: محمد باهرى وزير العدل وكان عضوا فى حكومة أسد الله علم وحكومة حسن على منصور

---

(١) صحيفة الشرق الأوسط بتاريخ ٤ / ١٢ / ١٩٨٠ م

وحكومة أمير عباس هويدا ، وكان رضى ويشكائى وزير التجارة عضوا فى حكومة شريف إمامى السابقة ، كما ضمت الوزارة أثنين من المحافظين المؤيدين للنظام هما : منوجهر آزمون محافظ فارس وأمير پرويز محافظ كرمانشاه ، هذا بالإضافة إلى أنها ضمت عددا من الشخصيات التى لاتمثل ثقلا سياسيا أو عملا وطنيا أو اتجاها تحرريا مثل پرويز آوينى وزير الإسكان وبناء المدن ، جهانكير مهدمينا وزير الطاقة وحسن على مهران وزير الدولة للتخطيط ، والواضح أن هذه الوزارة كانت وزارة خبرة لا وزارة تغيير لأن هؤلاء الخبراء سوف يعالجون الأمور بعقلية أوائل عهد الشاه دون حساب لتغير الزمان والظروف .

وقد بدأت الحكومة نشاطا مكثفا من أجل العمل على تهدئة الأمور واحتواء الأزمة والاتصال بالجماعات السياسية المعتدلة ومن سوء حظ هذه الوزارة أن الجبهات المعادية النشطة لم تترك لها الفرصة فاندلعت المظاهرات مرة أخرى فى مدن تبريز ورضائية وزنجان وقم بالإضافة إلى طهران التى لم تهدأ طوال هذه الفترة ، ومع رفع الإيقاف عن بعض الصحف ذات الميول المنحازة وبداية الاتصال مع زعماء رجال الدين راجت الشائعات حول موافقة الحكومة على عودة آية الله العظمى الخمينى من منفاه بالعراق وإن كانت الشخصية الدينية التى ظل لها نشاط ملحوظ فى هذه الفترة هو آية الله العظمى شريعتمدارى الذى أخذ يدعو الجماهير إلى الهدوء من أجل مصلحة إيران كما استمر فى مباحثاته مع الحكومة للخروج من هذه الأزمة [1] وقد أطلقت الحكومة سراح عدد من رجال الدين المعتقلين وعلى رأسهم آية الله صادق روحانى الذى أعلن فور خروجه عن أمله فى أن يكون الإفراج عنه مقدمة للافراج عن جميع المعتقلين وعن تنفيذ الأحكام الشرعية والقانونية ومنح حريات التعبير ، وردا على هذا التصريح أعلنت الحكومة على الفور أنه مامن أحد ممنوع من الكتابة أو التعبير عن رأيه فى إطار القانون ، وأنها قد منعت المساعدات التى كانت تمنح لصحيفة رستاخيز ، وأن الجامعات لن

(١) صحيفة آينده كان العدد ٣٢٠٥ سنة ١١ بتاريخ ٨ شهريور سنة ١٣٥٧ هـ ش

تمطل (١) وقد بدأ الإعـــداد لقانون جديد للصحافة ولائحة جديدة لاستقلال الجامعات ، إلا أن الصحف داومت على نشر أخبار القلاقل والاضطرابات والمظاهرات العنيفة من جميع أنحاء إيران وكانت تشير صراحة إلى أن الأوضاع فى إيران غير مستقرة وتهدد بأخطار كبيرة ، وقد حاول الشاه أن يخفف من أثر ذلك بتصريح أكد فيه بأن حكومة إيران تجتهد فى سبيل إيجاد حكم ديمقراطى ليبرالى (٢).

إلا أن المظاهرات التى تتسم بالعنف كانت تزداد شدة يوما بعد يوم وتشمل العديد من المدن التى كانت هادئة من قبل ،ومع هذا العنف المتزايد بدأ رجال الدين يوالون طلباتهم على الحكومة حيث طالبوا الحكومة بإطلاق سراح آية الله منتظرى وآية الله طالقانى وإعادة آية الله العظمى طباطبائى وكذلك آية الله العظمى الخمينى إلى إيران ، بل لقد أعطى الزعيم الدينى شريعتمدارى مهلة محددة للحكومة كى تنفذ هذه المطالب ، وأكد أنه لن ينتظر أكثر من ثلاثة أشهر ليرى مطالب رجال الدين تتحقق ، بل إنه أوقف التفاوض مع الحكومة معلنا أن ما يطالب به يكفله الدستور وعلى هذا فليس هناك موضوع يحتاج للتفاوض إلا أنه دعا المواطنين ورجا الجيش والأمن إلى التوقف عن إراقة الدماء والامتناع عن العنف مؤكدا أن المظاهرات السلمية أجدى من الأعمال التخريبية (٣) .

كذلك دعت الجبهة الوطنية بعد تنظيم صفوفها واختيار كريم سنجابى سكرتيرا عاماً لها إلى عودة العناصر الوطنية الموجودة بالخارج إلى الوطن للمشاركة فى العمل الوطنى كما دعا سنجابى للسماح للشيوعيين بممارسة العمل السياسى وتشكيل الأحزاب والجماعات وإعطائهم حرية التعبير عن آرائهم وأكد سنجابى على أهمية الزعامة الدينية فى توجيهها للكفاح الوطنى (٤).

(١) صحيفة كيهان العدد ١٠٥٠٢ بتاريخ ٨ شهريور سنة ١٣٥٧ هـ . ش

(٢) صحيفة رستاخيز العدد ١٠٠٤ بتاريخ ١١ شهريور سنة ١٣٥٧ هـ . ش

(٣) صحيفة اطلاعات العدد ١٥٧٠٢ بتاريخ ١٢ شهريور سنة ١٣٥٧ هـ . ش .

(٤) صحيفة كيهان العدد ١٠٥٠٥ بتاريخ ١٢ شهريور سنه ١٣٥٧ هـ ش .

وقد سارع وزير الإعلام إلى إصدار قرار بمنع صدور أية صحيفة أو نشرة تخالف الدين الإسلامي أو تنشر الصور القبيحة .

ومع صلاة عيد الفطر خرجت بضعة ملايين من الجماهير إلى الشوارع في مظاهرات صاخبة، وقد حاول الجيش أن يبدى حسن النية إزاء المتظاهرين فأخذ يلقى عليهم الورود ويحييهم بمناسبة العيد الإسلامي ،وكان رجال الدين هم قادة هذه المظاهرات بل لعلها كانت استعراض قوة بالنسبة لرجال الدين أمام الحكومة وتحت سمعها وبصرها ، بل لقد أعلن الزعيم الديني آية الله شريعتمداري مهددا الحكومة بأنه إذا ظهر من الحكومة أي تسويف فسوف يكون هناك كلام آخر [1] .

وقد استطاع حزب توده الشيوعي المنحل أن يعود للظهور من جديد من خلال هذه الأحداث بل ويطرح اقتراحاته على الحكومة وعلى الأحزاب الأخرى وأن يدعو هذه الأحزاب إلى تشكيل جبهة واحدة ضد الحكومة تعمل على إسقاطها وتأميم صناعة البترول وإنهاء الأحلاف العسكرية وتشكيل حكومة ائتلافية يكون من أهدافها تغيير النظام ومحاكمة المسئولين فيه والغاء كل القوانين المخالفة للدستور والتي تعوق الحريات وحل البرلمان وجهاز للشرطة السياسية ، وانتخاب مجلس تأسيسي تكون مهمته إصدار قانون التأميم وطرد المستشارين العسكريين الأمريكيين وإنهاء الأحلاف العسكرية ووقف سياسة الإقتصاد المفتوح [2] .

وقد ظهرت ردود فعل فورية من الأحزاب والجماعات السياسية لدعوة حزب تودة الشيوعي فأعلنت الجبهة الوطنية رفضها الائتلاف مع هذا الحزب وأكدت أنه لم يكن في يوم من الأيام حزبا وطنيا ولا مستقلا ، وأنه أصاب ثورة تأميم البترول بضربة قاصمة ، وقد أيدت كافة الأحزاب والجماعات السياسية

---

(١) صحيفة كيهان العدد ١٠٥٥٦ بتاريخ ١٤ شهريور سنة ١٣٥٧ هـ . ش

(٢) صحيفة كيهان العدد ١٠٥٥٧ بتاريخ ١٥ شهريور سنة ١٣٥٧ هـ . س

موقف الجبهة الوطنية من حزب تودة فيما عدا الأحزاب الشيوعية الماركسية اللينينية (١) .

ومع ازدياد حركة المعارضة ضد الحكومة قامت الحكومة بكثير من التغييرات فى المناصب الكبيرة للدولة حيث شملت التغييرات عدداً من المحافظين ورؤساء الجامعات وضباط أجهزة الشرطة والأمن ، وانتهى بها الأمر إلى إعلان الأحكام العرفية وتعيين حكام عسكريين فى طهران وإحدى عشرة مدينة أخرى وعينت اللواء اويسى المتشدد الذى كان قائداً للقوات البرية فى الجيش حاكما عسكريا عاما على طهران ، كما فرضت الأحكام العرفية على مدن كرج ، قزوين ، قم ، مشهد ، تبريز ، أهواز ، عبدان ، أصفهان شيراز ، كازرون وجهرم ، وقد ألقى الشاه زيارته لأوربا الشرقية وأقال أمير عباس هويدا من وزارة البلاط (٢) .

وكان على شريف إمامى رئيس الحكومة أن يتحرك بمبادرة وسط هذه الأحداث الساخنة فتقدم ببرنامج جديد لحكومته إلى مجلس النواب لإقراره من أجل الخروج بالبلاد من هذه الأزمة ، وكان برنامج الحكومة يعتمد على تسع نقاط هى : إقرار الأمن وحفظ النظام العام وضمانه ، إجراء الانتخابات بحيث تشترك فيها الأحزاب الشرعية وجميع الطبقات ، ضمان الحقوق والحريات الفردية والاجتماعية ، ترقية جميع العاملين فى الدولة درجة وظيفية مالية ، تغيير قانون الضرائب لمصلحة الطبقة ذات الدخل المحدود، تطهير الجهاز الإدارى ومنع استغلال النفوذ ، عدم التدخل فى شئون السلطة القضائية وضمان استقلال القضاء ، إعفاء المنتجات الزراعية والحيوانية وتربية الماشية من كل أنواع الضرائب ، إيجاد التسهيلات الكافية من أجل زيارة الأماكن المقدسة (٣) .

ويستطيع الدارس أن يتبين من خلال البرنامج الذى طرحه شريف إمامى على

---

(١) صحيفة اطلاعات العدد ١٥٧٠٥ بتاريخ ١٦ شهريور سنة ١٣٥٧ هـ . ش

(٢) صحيفة كيهان العدد ١٠٥٥٩ بتاريخ ١٨ شهريور سنة ١٣٥٧ هـ . ش

(٣) صحيفة كيهان العدد ١٠٥٦ بتاريخ ١٩ شهر يور سنة ١٣٥٧ هـ . ش .

البرلمان لمواجهة المشكلات الحادة التى تسببت فى موجة الاضطرابات والعنف التى شملت أنحاء إيران عيوب نظام الشاه والمآخذ التى احتج بها أعداء هذا النظام فى مطالبتهم بالإصلاح أولا ثم بسقوط النظام كله أخيرا، ولقد كان هذا البرنامج ضعيفا حتى فى تقديمه حيث قال إمامى : يعلم الجميع أن أوضاع بلادنا العزيزة فى الوقت الحاضر قد وصلت إلى درجة من الحساسية بحيث لن يمكن حل مشكلاتها إلا بتعاون كافة القوى الوطنية وكل من يهمه استقلال الوطن ، فإذا لم تجند كل القوى الوطنية لإنقاذ البلاد فإنه من غير الممكن أن نأمل فى مستقبل مشرق يقود مجتمعنا إلى الخير والصلاح والهدوء والاستقرار (١) . ولقد حاول رئيس الحكومة أن يعلن عن تجاوبه مع الأحداث واستعداده لأن يدير البلاد بالأسلوب الذى يرضاه الشعب فقال : من البديهى أن النظام والحرية شرطان أساسيان لاستقرار الديمقراطية فى مجتمع سليم لأنه لن يستطيع شخص أن يعبر عن فكره أو عقيدته فى مجتمع لا نظام فيه ، ولا شك أن الخطوة التالية للقضاء على الفوضى هى زيادة الدخل وتوزيعه توزيعا عادلا لأن سوء توزيع الثروة فى السنوات الأخيرة قد أضعف الروح المعنوية فى مجتمعنا بل أدى إلى عدم الاهتمام بالأخلاق والقيم ، كما أن قصور الإدارة فى إيران لم يمنعها من التحكم فى خسائر الحركة السريعة للنمو المتزايد فحسب بل أدى إلى حدوث أشياء جلبت سخط الرأى العام الذى تطور إلى اضطرابات عارمة (٢) .

وإذا كان قصد إمامى من هذا البرنامج هو أن يبدى تصميم الحكومة على التصرف السريع والحاسم للخروج بالبلاد من هذه الأزمة التى تهدد كيانها إلا أن الواقع فى الشارع الإيرانى كان أعمق مما ترى الحكومة وكان يتطلب التصرف بأكثر مما عرضت فى برنامجها ، حقيقة أنها اتخذت على الفور بعض الإجراءات

---

(١) المرجع السابق .
(٢) نفسه .

التنفيذية لإقرار الأمن والنظام العام فى البلاد تحت شعار محاربة الفساد حيث أقدمت على القبض على عدد من المستغلين، وقللت من ساعات حظر التجول إلا أنها لم تستطع وقف المظاهرات رغم إصدارها الأوامر بمنع الأحزاب والجماعات السياسية من ممارسة نشاطها بصورة مؤقتة (١).

وقد انقسم البرلمان على نفسه وراح أعضاؤه بين مؤيد لبرنامج الحكومة ومخالف لها وأخذ جدالهم يشتد وصخبهم يعلو والجماهير لاتبالى بما يحدث فى البرلمان ولا تبالى بما تنشره الصحف عنه وإنما كانت تتحرك بشكل يصعب معه إيقافها فظلت المظاهرات تتزايد وتشتد بعنف مطالبة بمنح مزيد من الحرية والديمقراطية ، ومع بداية السنة الثامنة والثلاثين من حكم الأسرة البهلوية اتخذت المعارضة شكلا مسلحا وبدأت تهاجم رجال الأمن بالأسلحة وكان القتلى والجرحى يتساقطون من الجانبين ، وقد أكدت الحكومة التى حصلت على موافقة البرلمان بأغلبية مائة وستة وسبعين صوتا مقابل ستة عشر صوتا وامتناع اثنين عن التصويت أن الماركسيين هم المحرك الأصلى لأعمال العنف التى تسود البلاد (٢).

وحاولت الحكومة أن تعبر عن حسن نيتها بإطلاق سراح بعض المعتقلين السياسيين وإنقاص مدة سريان الأحكام العرفية ومحاولة تحسين أوضاع المستشفيات وأطبائها والعاملين فيها ، وزيادة عدد المقبولين فى الجامعات وإعلان استقلال الجامعات ، والقبض على عدد من الوزراء السابقين والمسئولين فى الحكومات السابقة بتهمة الفساد ، والتأكيد على تصميم الدولة على موقفها من حرية الصحافة ، وإطلاق حرية التعلم فى الخارج للشباب ، كما بذلت الحكومة جهداً كبيراً فى مساعدة ضحايا زلزال طبس الذى وصف بأنه أعنف زلزال وقع فى العالم فى هذه السنة وأن ضحاياه بلغت ثمانية عشر ألفا من القتلى والجرحى ، كما أشركت الحكومة الجيش فى عمليات الإنقاذ والعلاج والمساعدة (٣) .

---

(١) صحيفة آيندكان العدد ٣٢١٤ لسنة ١١ بتاريخ ٢٠ شهريور سنة ١٣٥٧ هـ.ش.

(٢) صحيفة كيهان العدد ١٠٥٦٥ بتاريخ ٢٥ شهريور سنة ١٣٥٧ هـ. ش.

(٣) صحيفة إطلاعات العدد ١٥٧١٣ بتاريخ ٢٦ شهر يور سنة ١٣٥٧ هـ . ش .

كذلك قامت الحكومة بتأكيد حسن نواياها رغم قانون الأحكام العرفية الذى استصدرته من البرلمان بتأمين كريم سنجابى وداريوش فروهر زعيما للجبهة الوطنية، وكذلك الدكتور على أصغر حاج سيد جوادى الكاتب المعروف وكانوا قد فروا عقب إعلان الأحكام العرفية ، كما أطلقت سراح المهندس مهدى بازرجان زعيم الجمعية الايرانية للدفاع عن حقوق الإنسان . .

— تعديل نظام السافاك :

ومما بلغت انتباه الدارس أن هيئة الأمن والمعلومات الإيرانية « سافاك » قد أجرت تعديلا فى نشاطها حيث جعلته ينحسر فى محاربة المخربين سواء القادمين من الخارج أو الذين يعملون فى الداخل ، فقد أعلنت وكالة الأنباء الفرنسية فى تقرير لها عن الأوضاع فى إيران أنها لاحظت أن السافاك تغير من وجهها المخيف وتتجه للعمل الوطنى، كذلك أذاع راديو فرانس ــ انتر حديثا للشاه أكده فيه هذا الاتجاه الجديد للسافاك (١) .

ولقد كان الهدف من إنشاء هيئة الأمن والمعلومات «سافاك » فى شهر آبان سنة ١٣٣٥ هـ . ش سنة ١٩٥٦ م على يد اللواء تيمور بختيار هو إنهاء حالة الطوارىء التى فرضت على البلاد فى أعقاب حركة الاغتيالات السياسية التى قام بها أعضاء حزب توده الشيوعى واستمرت طوال ثلاث سنوات كان تيمور بختيار فيها حاكما عسكريا عاما وتمكن خلالها من القبض على كثير من الشيوعيين وسجنهم ورقى بسبب ذلك إلى رتبة فريق وعين رئيسا لهيئة الأمن والمعلومات بدرجة نائب رئيس الوزراء ، لذلك جعل هدف هذه الهيئة هو تعقب الشيوعيين وأطلقت يده فى هذه المجال طوال خمس سنوات استطاع خلالها أن يعتقل الكثير من المناهضين السياسيين على اختلاف مذاهبهم وأن يقدم الكثير منهم إلى فرقة الإعدام ، وكان معنى إلغاء الحكم العسكرى وحالة الطوارى أن تقوم السافاك بمهام هذا الحكم ،

---

(١) صحيفة اطلاعات العدد ١٥٧١٨ بتاريخ أول مهرماه سنة ١٣٥٧ هـ . ش

ويبدو أن بختيار قد سئم هذه المهمة ففر إلى خارج البلاد سنة ١٣٤٠ هـ . ش سنة ١٩٦١م وصرح للصحفيين فى مطار روما بأنه يعارض برنامج الإصلاح الزراعى وأنه ليست هناك حرية فى إيران (١).

وقد تولى رئاسة الهيئة من بعده اللواء حسن باكروان مدة ثلاث سنوات وكان آخر عمل قام به هو نفى آية الله الخمينى فى ١٣ آبانماه سنة ١٣٤٣ هـ . ش [٤ أكتوبر سنة ١٩٦٤ م] باعتباره محرضا على الثورة ضد النظام ويعمل ضد أمن البلاد واستقلالها ، وبعد هذه الحادثة بثلاثة أشهر تولى رئاسة الهيئة الفريق نعمة الله نصيرى الذى كان رئيسا للحرس الإمبراطورى برتبة عقيد إبان أزمة مصدق وهو الذى سلمه قرار إقالته ورقى إلى رتبة لواء ، وكانت الفترة التى تولى فيها نصيرى جهاز السافاك واستمرت أربعة عشر عاما من أكثر الأوقات التى عانى فيها الإيرانيون الرعب وعدم الأمان حيث استحدثت أجهزة التعذيب حتى الموت والمحاكمات غير القانونية والاعتقال لمجرد الشك أو الاشتباه ، وقد نشرت الصحف فيما بعد هذه الفترة الكثير من الجرائم التى قام بها جهاز السافاك برئاسة نصيرى ، وأجريت الأحاديث الصحفية مع المعتقلين الذين أطلق سراحهم حيث ذكروا فيها أسبابا تافهة لاعتقالهم مثل حيازة بعض الكتب أو شكوى كيدية أوغير ذلك وكيف أنهم عذبوا أبشع تعذيب للاعتراف بجرائم لم يرتكبوها وكيف قدموا لمحاكم عسكرية سريعة وغير قانونية .

وقد حاولت المعارضة أن تثير قضية جهاز السافاك وتطالب بالإعلان عن عدد أعضائه وجواسيسه وكيفية تشكيلاته وميزانية الإنفاق السنوى عليه والتحقيق مع قياداته ، وقد صرح الدكتور كريم سنجابى زعيم الجبهة الوطنية بقوله : حقيقة إن وجود جهاز للأمن والمعلومات ضرورى فى كل الدول لمواجهة أعدائها فى الداخل والخارج لكن من المؤسف أن تجاوز جهاز السافاك هذه المهمة وسلب راحة الناس

(١) صحيفة كيهان العدد ١٠٥٩٩ بتاريخ ٨ آبانماه سنة ١٣٥٧ هـ . ش

وأمنهم وقام بأعمال مشينة ضد الوطنيين المخلصين (١). وأكد أحمد بنى أحمد عضو مجلس النواب عن تبريز أن جهاز السافاك كان يقوم بجرائم مختلفة مثل إحراق المساجد والمؤسسات ثم يتهم بها أشخاصا وطنيين (٢) .

وإزاء هذا الهجوم على السافاك عزل الشاه الفريق نصيرى عن رئاسة هذا الجهاز وعينه سفير الإيران فى باكستان كبداية لتغيير سياسته ، ثم أعلن عن عزل أربعة وثلاثين مسئولا كبيرا عن وظائفهم فى هيئة الأمن والمعلومات وتغيير وجه هذه الهيئة وإعادتها إلى وظيفتها الأساسية . وقد صرح أحد كبار المسئولين فى هذه الهيئة للصحفيين قائلا : إن الذين خرجوا من الهيئة هم من الوكلاء والمستشارين ومديرى العموم ورؤساء الإدارات الذين بلغوا سن التقاعد ، كما أحيل إلى التقاعد أيضا عدد من المسئولين الذين عرفوا بأسلوبهم الخشن فى التعامل مع الجماهير أو مع المعتقلين السياسيين ، وقال إنه فى السنة الأخيرة قد تم وضع رقابة من الصليب الأحمر الدولى على المسجونين السياسيين الذين كانوا يبلغون الشاه مباشرة إذا حدث أى نوع من التعذيب للمعتقلين مما انتفى معه حدوث أى تعذيب فى هذه السنة ، واعترف المسئول بأنه كانت تحدث بعض أعمال الخشونة عند إلقاء القبض على المعتقلين وكان من الصعب تلافيها ، كما أن انتشار الشائعات زاد من سوء الفكرة لدى الناس عن الهيئة ، ولاشك أنه من غير الممكن أن نسلب موظفى الهيئة حق الدفاع عن أنفسهم أمام المخربين (٣) .

وقد اشتد تضييق الخناق حول السافاك وشجعت المعارضة الجماهير على تقديم البلاغات إلى المدعى العام الإيرانى ضد بعض الأفراد المنتمين إلى هذه الهيئة والذين قاموا بتعديات على بعض المواطنين ، وقد قدمت معظم الشكاوى ضد الفريق نعمت الله نصيرى نظرا لأن مقدميها لم يكونوا يعرفون شخصية المسئول الذى تعدى

---

(١) صحيفة كيهان العدد ١٠٥٩٩ بتاريخ ٨ آبانماه سنة ١٣٥٧ هـ . ش .

(٢) المرجع السابق .

(٣) نفسه .

عليهم لدرجة أن المدعى العام الإيرانى اضطر إلى أن يعلن إتهام الفريق نصيرى فى ثلاث عشرة جريمة ويطلب القبض عليه وإحضاره من باكستان إلى طهران لمحاكمته وقد تم له ذلك، ولعلنا هنا نشير باختصار إلى الإتهامات التى وجهت إلى نصيرى كنموذج لما اتهمت به أجهزة الأمن :

١ — الاستيلاء على قطعة أرض من أملاك الحكومة من وزارة الزراعة والشئون القروية فى نواحى نياوران لبناء قصر لزوجته دفع فيها رشوة إلى السيد/ حسين فولادى عن طريق السيد / أمير حسين شيخ بهائى ويقدر ثمن الأرض بمبلغ خمسين مليون ريال .

٢ — اشترى من السيد / جواد عظيمى قطعة أرض لإقامة مبنى لهيئة السافاك بمبلغ سبعمائة مليون يال واستولى عليها .

٣ — استغل وظيفته الرسمية فى منح اللواء زنكنه تصريحا ببناء عدد من المساكن فى شارع هروى من بلدية طهران .

٤ — استغل وظيفته ارسمية فى بناء عدد من المبانى والفيلات فى المناطق غير المصرح بها قانونا لمسئولى السافاك ، وقد نقل بعضها لحيازة زوجته وأبنائه .

٥ — أنشأ شركة باسم زوجته وأبنائه لتجارة وتقسيم الأراضى فى الشمال باسم وردة الشمال وحصل لها على العاملات وتصاريح مستغلا نفوذه الوظيفى وبمبالغ ضئيلة جداً .

٦ — قبض على العديد من الأفراد الذين لم يساعدوه على تنفيذ مصالحه الشخصية وعذبهم وسجنهم مثل السيد / سعيد منشى زاده ومحمد حسين شيخ الإسلامى وهما تاجران فى السوق الكبير .

٧ — استغل نفوذه فى منح بعض أراضى الأوقاف إلى السيد / رحيم على خرم الثرى المعروف بنى على بعضها عددا من نوادى القمار .

٨ — شارك مع زوجته وأبنيه فى مزارع ومصانع سمنان مع الثرى المعروف هزبر يزدانى دون دفع قيمة الأسهم وفى مقابل استغلال نفوذه لدى بنك التعاون الزراعى والبنوك الأخرى .

٩ — شارك السيدين / مرتضى ومصطفى أخوان فى شركة السجاد الآلى موات موكت باستغلال نفوذه .

١٠ — شارك المهندس قيائى فى شركة البناء والمقاولات فردا ومعظم أعمال هذه الشركة غير قانونى .

١١ — استغل نفوذه فى تعيين أمير حسين شيخ بهائى رئيسا للغرفة التجارية وهدد التجار للسكوت على أعماله .

١٢ — بنى قصره فوق تل نياوران فى منطقة غير مصرح بالبناء فيها واستولى على أرضه بطريقة غير شرعية .

١٣ — استغل نفوذه فى منح رحيم على خرم خمسين هكتارا من أراضى وزارة الزراعة بدون سند قانونى (١) .

اشتداد الضغط على الحكومة :

وقد شددت المعارضة الضغط على الحكومة لكى تكشف عن المفسدين والمختلسين والمستغلين من كبار رجال الدولة وأن تعمل على اعتقالهم ومحاكمتهم ، حيث طالب أحمد بنى أحمد زعيم الاشتراكيين الراديكاليين القضاء بأن يتعقب الذين قاموا بنهب أموال الشعب وأكد أن ترك الفساد والسرقات مظهر من مظاهر الاختناق المستهتر ، وإقترح بنى أحمد إقامة محكمة ثورية تحتكم إلى الدستور وحده فى عملها وأن تعلن خلال مدة أقصاها شهر أسماء كل المفسدين فى كتاب

(١) صحيفة اطلاعات العدد ١٥٧٤٧ بتاريخ ٩ آبانماه سنة ١٩٥٧ هـ. ش .

أسود ، وقد شكك فى تنفيذ هذا الاقتراح على يد الحكومة الحالية لأن بها ثمانية وزراء من الحكومات السابقة[١] وأكد المهندس ظفرى عضو مجلس النواب أن المجلس إذا تعقب لصوص بيت المال على مستوى رؤساء الوزارات والوزراء والوكلاء والمحافظين والمدراء خلال الخمس عشرة سنة الأخيرة لزاد عدد اللصوص عن الألف ، ويمكن تنفيذ هذا من خلال إصدار قانون من أين لك هذا ؟[٢] وأكد السناتور سزاوار هذا الأمر بقوله :لو تعقبنا لصوص بيت المال لتعطلت كافة المصالح الحكومية لكثرة عددهم[٣] . وعلى كل حال فقد أقر المجلس النيابى قانون من أين لك هذا وتم عن طريقه القبض على كثير من المسئولين السابقين من بينهم : محمد على نقيب زاده رئيس الجمعية التعاونية لإسكان المثقفين، رحيم على حزم المقاول الثرى ، رئيس الغرفة التجارية السابق ، دكتور شيخ الإسلام زاده وزير الصحة السابق ، محمد رضا نقابت وكيل وزارة الصحة السابق ، دكتور نيلى آرام وكيل وزارة الصحة السابق ، رسول رحيمى رئيس الغرفة التجارية للعاصمة ، على أصفر رزازيان مستورد الفاكهة ، قاسم ساربانها صاحب شركة النقل البرى ، باقر عاملى مدير هيئة تعمير القرى ، سفير إيران فى السودان ، مدير عام وزارة الزراعة ، مدير هيئة الطيران المدنى وثلاثة من كبار موظفيها ، مدير شركة الخدمات التجارية ، مدير جمعية الإسكان بهمدان ، وعدد كبير آخر .

وقد أثيرت قضية المعتقلين السياسيين بشكل حاد، وتبنت الجمعية الإيرانية للدفاع عن الحرية وحقوق الإنسان هذه القضية وتزعم هذه الحركة المهندس مهدى بازرجان ، حسن نزيه نقيب المحامين ، دكتور عبد الكريم لاهيجى رئيس جمعية الحقوقيين ، دكتور على أصفر حاج سيد جوادى الكاتب والمفكر ، دكتور سيد مناچى ، دكتور أحمد صدر حاج سيد جوادى ، مهندس رحمت

---

(١) صحيفة كيهان العدد ١٠٥٩١ بتاريخ ٢٩ مهرماه سنة ١٣٥٧ هـ. ش

(٢) المرجع السابق .

(٣) نفسه .

الله مقدم مراغه ى ، ومع أن هؤلاء قد واجهوا حملات من التهديد والإرعاب لدرجة وضع القنابل فى منازل بعضهم أو القبض على بعضهم إلا أنهم لم يكفوا عن المعارضة العلنية كما حاولوا الاحتماء برجال الدين وخاصة آية الله العظمى شريعتمدارى ، مطالبين بوقف التعذيب فى المعتقلات وتكوين لجنة تفتيش عليها وإطلاق سراح الوطنيين ، كما أعلنوا عن إستعدادهم للدفاع عن أى معتقل سياسى دون مقابل بل والدفاع عن المدانين الذين يلاقون التعذيب والمعاملة غير الكريمة فى السجون[١] . وقد طالبوا بضرورة تشكيل محكمة ثورية وطنية تضمن حصول كل فرد على حقه وتكفل إيجاد قضاء سياسى مفتوح وحرية القلم والبيان ومحاربة الفساد وإنصاف المعتقلين السياسيين والسماح بالمظاهرات فى حدود الدستور[٢] .

وكما نهضت نقابة المحامين للدفاع عن الحريات والمعتقلين السياسيين قام العاملون بالمؤسسات الصحفية بالإضراب والاعتصام والضغط على الحكومة بالمقالات والتحقيقات من أجل إطلاق حرية الصحافة ورفع الرقابة عن الصحف والمطبوعات ، وقد أثمرت جهود نقابة الصحفيين عندما أسفر إضراب أعضاء النقابة عن توقيع إتفاق بين الحكومة والنقابة يقضى بالإلغاء الكامل للرقابة على الصحف والمطبوعات وضمان الحكومة لحرية الصحافة والنشر والتأكيد على صحة سياسة حرية الصحافة وضمان سلامة العاملين بالصحف فى إطار ضمان السلامة العامة للأفراد وعدم التدخل المباشر وغير المباشر فى شئون الصحافة وأن يكون القضاء هو الفاصل فى المخالفات الصحفية[٣] . ولقد عبر أحد الصحفيين عن فرصته بهذا النصر الرائع بقوله : إنه لم يأخذ إجازة من حياته الزوجية طوال اثنين وعشرين عاما من زواجه إلا ليلة الإعلان عن حرية الصحافة حيث سمحت له زوجته أن يبقى فى الصحيفة ليل نهار وأن يكتب ويكتب[٤] .

---

(١) صحيفة إطلاعات العدد ١٠٧٤٣ بتاريخ ٤ آبانماه سنة ١٣٥٧ هـ . ش .
(٢) المرجع السابق .
(٣) صحيفة كيهان العدد ١٠٥٨٦ بتاريخ ٢٣ مهرماه سنة ١٣٥٧ هـ.ش .
(٤) المرجع السابق .

وقد أصدرت الحكومة على أساس هذا الإتفاق قانونا جديدا للصحافة تخفف فيه القيود على إصدار الصحف والمجلات وتحـــدد مسئوليات رئيس التحرير والمحررين وضوابط النشر وتمنح بعض الحرية للصحافة من خلال هذا القانون .

وبموازاة ذلك سارعت الحكومة إلى إصدار جدول لتخفيف الضرائب على الدخول والمرتبات ، كما أعلنت وقف مساعداتها المالية لحزب النهضة تمهيداً لحله وإلغائه ، كما أكدت سعيها لإعادة المتهمين الفارين خارج البلاد لمحاكمتهم ، ولـكن هذا لم يكن يعنى أن تخفف من قبضة النظام العسكرى والأحـكام العرفية أو تتهاون مع مثيرى الشغب والمحرضين على العنف حيث اعتقلت أكثر من ألف ومائة شخص خلال فترة الأحكام العرفية التى لم تتجاوز بضعة أيام وقد أعلن رئيس الوزراء صراحة أنه تم القبض على ألف ومائة وستة أشخاص من مثيرى الشغب فى المظاهرات الأخيرة[1] . وفى الثالث من شهر مهر أعلن الدكتور جواد سعيد القائم بأعمال السكرتير العام لحزب النهضة حل الحزب وتسليم كافة أمواله ومنقولاته ومبانيه إلى الحكومة[2] وقد أجرى شريف إمامى رئيس الحكومة حديثا صحفيا مع مراسل صحيفة زود دويتشا سايتونج الألمانية الغربية لخص فيه كافة الظروف التى تحيط عمل الحكومة فى هذه المرحلة من القلق والاضطراب فقال : سوف نستمر فى جعل المحيط السياسى ليبراليا على الرغم من وجود حالة الطوارىء لتحديد الاجتماعات ووقف أعمال العنف ، وسنجرى انتخابات عامة فى العام المقبل تشترك فيها كافة الأحزاب بكل حرية ، وإن الفرق الجوهرى بين سياستنا وسياسة الحكومة السابقة هو أننا نهتم بمطالب الشعب ونحترمها ، وإننا لانستسيغ إطلاق النار على الأبرياء ولـكن حالة الطوارىء وإعلان الأحكام العرفية لها قوانينها التى لاتتدخل الحكومة فيها ، وإن كانت كل الدلائل تشير إلى أن مثيرى الشغب من العناصر اليسارية الممولة من الخارج[3] .

---

(١) صحيفة كيهان العدد ١٠٥٧٢ بتاريخ ٢ مهرماه سنة ١٣٥٧ هـ . ش
(٢) صحيفة كيهان العدد ١٠٥٧٣ بتاريخ ٣ مهرماه سنة ١٩٥٧ هـ . ش
(٣) صحيفة آيندكان العدد ٣٢٢٦ لسنة ١١ بتاريخ ٣ مهرماه سنة ١٣٥٧ هـ . ش

ولقد أقدم الشاه علي خطوة هامة من أجل إرضاء الجماهير الغاضبة والناقمة على الفساد والمفسدين حيث قام بتعيين الدكتور فلى أردلان أستاذ الاقتصاد وزيرا للبلاط ، وكان أول عمل قام به أردلان بناء على توجيهات الشاه هو تنفيذ القرار الخاص بمنع تدخل أعضاء الأسرة المـلكية فى الشئون الحكومية ومؤسسات القطاعين العام والخاص وشركاتهما وهيئاتهما ، أو استخدام النفوذ للحصول على منفعة شخصية لهم ولأفراد آخرين أو حق التوصية لدى هذه الهيئات لصالح أحد ، والامتناع عن الوساطة أو أى نوع من السحرة أو الحصول على وظائف فى مجالس الإدارات للشركات أو المؤسسات أو البنوك وعدم التدخل أو الاهتمام بأى شأن يخرج عن شئونهم الشخصية(١) . وهى خطوة شجاعة ربما أثارت أفراد الأسرة المـلكية وألحقت بمكاسبهم بعض الأضرار إلا أنهم أذعنوا للأمر إدراكا منهم لخطورة الأوضاع وثورة الجماهير،وقد أنشأ رئيس الوزراء لجنة لتعقب الانحرافات والاستغلال والفساد فى كافة الأجهزة الحكومية والوزارات وشركات القطاع العام ومؤسساته وهيئاته ، وسعت الحكومة فى نفس الوقت إلى زيادة دخل العاملين من منسوبيها صيانة لهم من الانحراف حيث أضافت إلى مرتباتهم بعض البدلات مثل بدل السكن وبدل ساعات الغذاء. إلا أن هذه الإجراءات لم تمنح الحكومة ما كانت ترجوه من تأييد الشعب أودعم موقفها إزاءه أو تقوية قبضتها الممسكة بزمام الأمور الذى كاد يفلت منها ، ومع ضعف الأمل فى أن تحقق الحكومة ما يرجى منها فى توفير الأمن والاستقرار فى إيران ، وتلبية احتياطات الجماهير الثائرة التى بلغت فى التعبير عن اعتراضها حد العنف ، كثر الحديث عن المستقبل السياسى لإيران وبدأ زعماء المعارضة ينشرون آراءهم حول هذا الموضوع ، حيث دعا علي أميني رئيس الوزراء الأسبق جميع الأحزاب والجماعات السياسية للنهوض من أجل إنقاذ البلاد مؤكدا أن العدالة الاجتماعية ينبغى أن تطبق عن طريق الضرائب وعدم التفرقة فى المعاملة وقيام قضاء نقى وقوى وطالب بمحاربة الفساد وعدم التسامح مع

(١) صحيفة رستاخيز العدد ١٢٠٥ بتاريخ ٥ مهرماه سنة ١٣٥٧ هـ . ش.

المفسدين واللصوص وطالب أيضاً بوقف الاسراف ومنع التضخم وأيد إعلان حالة الطوارىء وقيام حكم عسكرى لمنع الفوضى وتوفير الأمن وأكد أن ما أعلنته الحكومة من إصلاحات لايفى بالغرض ، وقد أكد على ضعف جهاز السافاك فى تحديد موقع إيران من العالم سياسيا وعسكريا وطالب بدراسة الدور الذى ينبغى أن يقوم به إيران فى المنطقة وعلى المستوى الدولى(١) .

وأكد شابور بختيار وهو الشخصية الثانية فى الجبهة الوطنية وعضو اللجنة المركزية بها فى ذلك الوقت أنه يرى مستقبل البلاد السياسى مظلما فإذا لم يحدث تغيير جذرى فى البلاد واستمرت الأوضاع على هذا المنوال وبغير ثقة الشعب فى الجهاز الحاكم فإنه لايرى بصيص أمل بأى حال ، وطالب بأن تعطى الحكومة مكانها لأشخاص يكونون موضع ثقة الشعب من الذين لم يتلوثوا بالأعمال القذرة طوال الخمس وعشرين سنة الماضية وخاصة فى السنوات الخمس عشرة الأخيرة . (٢)

وطالب الدكتور حسن طبيب عضو مجلس النواب من المعارضة الحكومة بأن تبحث عن أسباب الأضطرابات فى العلاقة التى بينها وبين الشعب لأن الحكومة إذا كانت موضع ثقة الشعب ماحدثت هذه الأضطرابات أو بمعنى آخر أن الشعب لم يعد يثق بالحكومة وعلى هذا فإن استمرار هذا الوضع يبعث على القلق فى المستقبل القريب ، والحل الوحيد لهذه الأزمة أن تختار الحكومة من بين الجماعات الأكثر شعبية من أجل تنفيذ القانون وإزالة التفرقة والظلم ومن أجل التوزيع العادل للثروة والضرب على أيدى اللصوص فى الداخل والخارج فمثل هذه الحكومة سوف تلقى الأهتمام وتبعث على الأمل فى المستقبل . (٣)

وأكد على أصغر مظهرى عضو مجلس النواب من كرمان أنه لايمكن رسم مستقبل إيران بدقة ما لم تلتزم الحكومة بالدستور حتى لاتؤدى الفوضى إلى حرب

---

(١) صحيفة اطلاعات العدد ١٥٧٣٩ بتاريخ ٣٠ مهرماه سنة ١٣٥٧ ه . ش

(٢) صحيفة كيهان العدد ١٠٥٩٣ بتاريخ أول ابان سنة ١٣٥٧ ه . ش .

(٣) المرجع السابق .

أهلية لاتحمد عقباها . (١) وإن كان البعض من الموالين للحكومة قد أكد أن هـــذه الفوضى والإضطرابات ليست فى مصلحة إيران فهى لاتخرج إيران من الدكتاتورية إلا إلى أخطار أكبر وتطرف أبعد ، وأنه ينبغى التزام الهدوء من أجل حل المشكلات تدريجيا إلا أن أصوات هـــؤلاء ضاعت فى زحام المعارضة الشديدة وموجات الأضطراب التى إزدادت حدة وعنفا ، ومع تدخل العسكريين من أجل إنهاء هذه الفوضى والمحافظة على الأمن والإستقرار فى البلاد زادت نظرة السخط والكراهية إلى الحكومة ، ويبدو أن العسكريين شعروا بالفشل فى إنهاء هذا الوضع القائم ، وليس أدل على ذلك من أعتراف أحد كبار القادة العسكريين بهذا الفشل حيث نشر اللواء عزيز الله پالیزن تقريرا عن التدخل العسكرى لإنهاء الأزمة أكد فيه فشل القوات المسلحة فى مهمتها حيث قال : ينبغى أن أعبر عن شديد أسفى إزاء الأحداث التى وقعت فى غرب البلاد وخاصة كرما نشاه وكرد ستان ولقد أدركت من خلال التحقيق أن هذه الأضطرابات لاتنبع من تلك المناطق وإنما يتم تحريكها من العاصمة وتبينت أن من اشترك فى أحداث كرمانشاه حوالى ألف ومائتا شخص وهم ليسوا منها وإنما من أصفهان وطهران ودماوند وتبريز وقم وخرم آباد ، وينبغى أن نعترف أننا هزمنا فى حرب الشائعات أمام الدعايات الأجنبية ، وإننى لم أر فى حياتى وضعا أسوأ مما أراه الآن فى البلاد مما يجعل احتمال قيام حرب أهلية يحترق الجميع بنارها أمرا قائما (٢) .

— دور رجال الدين فى الثورة :

لقد إستطاع آية الله العظمى شريعتمدارى بماله من نفوذ روحى على الجماهير أن يكون مسموع الكلمة بين أوساط الشعب المختلفة كما كانت الحكومة التى رأسها شريف إمامى تضع تصريحاته موضع الأعتبار وتحرص على بذل الجهد

---

(١) نفسه .

(٢) صحيفة إطلاعات العدد ١٥٧٤١ بتاريخ ٢ آبان سنة ١٣٥٧ هـ . ش .

لإرضائه ، وقد تمثل هذا فى أستجابتها الشروط التى أعلنها من أجل العمل على إعادة الهدوء والإستقرار فى البلاد وذلك قبل مضى نصف المدة التى حددها حيث أطلقت سراح آية الله طالقانى وآية الله منتظرى وكفلت لهما حرية القول والفعل فى حدود الدستور ،واللذين أعلنا فور خروجهما من السجن أنهما مدينان لشعب إيران العظيم بحريتهما وأكدا أن الكفاح المقدس لهذا الشعب المسلم سوف ينتصر ، وأكد آية الله منتظرى أن البند الثانى المتمم للدستور يشير إلى ضرورة أن يقوم رجال الدين بالرقابة على القوانين وهو لم يطبق أبداً (١) وقد سمحت الحكومة لآية الله العظمى طباطبائى أيضا بالعودة إلى إيران فعاد وأقام فى مشهد واشتغل بتدريس العلوم الدينية والوعظ ، كما وعدت الحكومة بالتفاوض مع آية الله العظمى الخمينى من أجل عودته إلى إيران ، والواقع أن آية الله العظمى شريعتمدارى رغم نفوذه الدينى وما أصبح له من نفوذ سياسى فى البلاد كان رجلا معتدلا فقد أعلن احترامه للنظام والدستور مع تطبيق الشريعة الإسلامية التى ينص عليها الدستور ، كما يقدر ظروف الحكومة وكثيراً ما كان يدعو الجماهير الثائرة إلى الهدوء والتزام النظام والمحافظة على الأمن والإستقرار وكثيراً ما كان يمنع المظاهرات التى كانت تنظم ضد الحكومة مطالبا المتظاهرين بإعطاء الفرصة للحكومة لكى تثبت حسن نواياها وتقوم بالإصلاح اللازم ، وتقديرى أن اليسار الماركسى الذى ركب موجة الثورة ضد النظام لم يجد فى آية الله شريعتمدأرى المعتدل زعيما يصلح لقيادة الثورة ، لذلك التفت القيادات اليسارية حول آية الله طالقانى المتشدد ودفعته إلى الزعامة حيث جعلت منظمة فدائى الإسلام اليسارية منه أبا روحيالها ، كما أن باقى جبهات المعارضة الوطنية أتجهت إلى آية الله العظمى الخمينى لقيادة الثورة .

وقد بدأ نشاط آية الله العظمى الخمينى بعد أن رفعت السلطات العراقية الحظر عنه بإيعاز من الحكومة الإيرانية فغادر العراق إلى باريس فى يوم الخميس الثالث عشر

---

(١) صحيفة إطلاعات العدد ١٥٧٤٧ بتاريخ ٩ آبان سنة ١٣٥٧ هـ . ش .

من شهر مهر سنة ١٣٥٧ هـ . ش الموافق الخامس من أكتوبر سنة ١٩٧٨، الثاني من ذي القعدة سنة ١٣٩٨ هـ [١] ويعتبر هذا التاريخ بداية للعمل السياسي المنظم والمعلن من جانب الخميني ضد النظام الملكي الحاكم، وقد أصدر أول بيان له من باريس بعد ثلاثة أيام من وصوله أعلن فيه أن حكومة العراق طلبت منه أن يختار بين السكوت أو مغادرة البلاد إلى بلد آخر وأنه لما لم يمكن يستطيع السكوت فقد آثر مغادرة العراق لأنه شعر أن السكوت يجعله مذنبا في حق الشعب الإيراني، ولما رفضت دولة الكويت السماح له بدخول أراضيها فقد قرر السفر إلى باريس ليتدبر أمر إقامته من هناك وقد رشح له الذهاب إلى بلد إسلامي ليقيم فيه مثل الجزائر أو سوريا . [٢]

وقد بدأت السلطات الفرنسية تبدي اهتماما بآية الله الخميني وتمنحه بعض الحريات في ممارسة نشاطه وتسمح لأصدقائه وأتباعه بزيارته ولقائه، وبدأت تخرج من العاصمة الفرنسية تصريحات الخميني السياسية، وكانت أول رسالة له إلى الطلاب الإيرانيين المضربين يشجعهم ويطلب منهم الحذر ويهاجم حزب توده الشيوعي ويتهمه بمحاولة إحباط النهضة الإسلامية القائمة في إيران ويهاجم الدول الكبرى أمريكا والإتحاد السوفييتي والصين والمحاولة تدخلها في الشئون الداخلية لإيران [٣] وقد شجعت تصريحات الخميني أقطاب المعارضة في البرلمان على إثارة قضية إبعاد الزعيم الديني عن البلاد وإستجواب الحكومة حول أسباب ذلك ومطالبتها بسرعة العمل على إعادته للبلاد . [٤]

ويعد التقاء المهندس مهدي بازرجان زعيم لجنة الدفاع عن حقوق الإنسان مع آية الله الخميني في باريس بداية العمل المنظم للجبهة التي تكونت بزعامة الخميني

---

(١) صحيفة رستاخيز العدد ١٠٢٥ بتاريخ ١٥ مهر سنة ١٣٥٧ هـ . ش

(٢) المرجع السابق وصحف نفس اليوم

(٣) صحيفة اطلاعات العدد ١٥٧٣٢ بتاريخ ١٨ مهر سنة ١٣٥٧ هـ . ش .

(٤) صحيفة رستاخيز العدد ١٠٤١ بتاريخ ٢٦ مهر سنة ١٣٥٧ هـ . ش

لمناوأة النظام الحاكم والعمل على إسقاطه حيث أتفق الزعيم الديني مع بازرجان وميناچر الذي حضر اللقاء على ضرورة إيجاد التفاهم والإتفاق التكتيكي — على حد تعبيره — بين كافة أجنحة الثورة السياسية المخالفة للنظام داخل إيران وخارجها ورغم صعوبة تنفيذ هذا الإتفاق إلا أنهم أعتبروه أمر احيويا وضروريا للغاية وأخذوا على عاتقهم إزالة المشاكل والتعقيدات عن هـذا السبيل والتقريب بين الشعارات المختلفة والتكتيكات المتفاوتة للجماعات السياسية المعارضة من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار [١] وقد أثمر هذا الإتفاق دون جهد كبير فى أنضمام جبهة إيران الوطنية بزعامة كريم سنجابي ، وسرعان ماطار هذا الزعيم للقاء الخميني الذي أستقبله على الفور ، وقد صرح سنجابي عقب هذا اللقاء بإن محادثاته مع الإمام الخميني هى أعظم إنجاز قامت به الجبهة الوطنية فى الظروف الراهنة حيث تحددت من خلال هذه المحادثات إستراتيجية العمل السياسي للجبهة فى المستقبل [٢] والواقع أن الجبهة الوطنية التزمت بتوجيهات الخميني وكانت تتدارسها بصدق لوضعها موضع التنفيذ بل لقد جعلت من النقاط التى أعلنها الخميني محدداً بها موقفة من الحكومة القائمة والنظام وعلى رأسها عدم التفاوض مع الحكومة أو النظام أو من يمثله ، وطرد كل من يتفاوض معهم من التحالف الخميني الذي قام عند ذلك ، جعلت الجبهة هذه النقاط حـدودا تتصرف فى إطارها ، لاتخرج عنها فى تحركاتها السياسية . [٣] كما تصاعد نشاط رجال الدين وتحددت آراؤهم وأفكارهم ومطالبهم على ضوء تصريحات الخميني وتحت قيادة كل من آية الله طالقاني وآية الله منتظرى ومباركة آية الله شريعتمداري ومساعدة آية الله صدوقي وسيد جعفر بهبهاني ، وقد اتحدت كلمة رجال الدين بشكل واضح فى هذه الفترة وصار مطلبهم الرئيسى الذي أعلنوه صراحة هو إقامة حكومة إسلامية كحل وحيد للخروج من هذه الأزمة . [٤]

---

(١) صحيفة إطلاعات العدد ١٥٧٣٩ بتاريخ ٣٠ مهر سنة ١٣٥٧ هـ . ش .
(٢) صحيفة إطلاعات العدد ١٥٧٤٣ بتاريخ ٣ آبان سنة ١٣٥٧ هـ . ش .
(٣) صحيفة رستاخيز العدد ١٠٥٠ بتاريخ ٨ آبان سنة ١٣٥٧ هـ ش .
(٤) صحيفة إطلاعات العدد ١٥٧٤٧ بتاريخ ٩ آبان سنة ١٣٥٧ هـ ش .

وكان هذا المطلب يبدو معقولا لكافة القوى الوطنية المعارضة لنظام الحكم وخاصة الجبهة الوطنية التى راحت تؤيده بكل ما تملك ، والواقع أن لإتجاه المعتدل الذى تزعمه شر يعتمد أرى أصبح يلقى اهتماما من القوى الموالية للنظام وكان من شأن هذا الإتجاه أن ينجح فى إخراج إيران من أزمتها ، إلا أن آية الله العظمى الخمينى لم يحبذ هذا الإتجاه ، كما أن آية الله طالقانى كان يميل بتشجيع من العناصر اليسارية إلى تصعيد المواجهة مع النظام وقد استطاع بتصريحاته الحماسية أن يجتذب إليه الجماهير الثائرة المعطشة إلى الثورة ضد النظام وتدفقت هذه الجماهير على منزله والتفت حوله حيث بلغ عدد الزائرين له فى اليوم الواحد أكثر من مائتين وخمسين ألف شخص .(١)

وقد حدث تصدع فى الأئتلاف الخمينى بدأ مع إعلان آية الله الخمينى مطالبته بأن تكون إيران جمهورية إسلامية حيث لم ير رجال الدين المعتدلين وعلى رأسهم آية الله شر يعتمد ارى فى ذلك أمرا ملحا فى الظروف الراهنة وأن الوقت لم يحن بعد للعمل على تحقيق ذلك ، فى حين استصوب اليساريون الفكرة كوسيلة لتغيير النظام ، كما لاقت قبولا لدى آية الله طالقانى ومؤيديه أما الجبهة الوطنية فكانت أميل إلى موقف شر يعتمدارى حيث ترددت فى قبول هذه الفكرة ، والواقع أن الحكومة لم تحسن التصرف فى ذلك الوقت حيث حددت إقامة شريعتمد ارى ومنعت الجماهير من التردد على منزله ، وكان هذا من الأخطاء الواضحة التى تدل على تخبط الحكومة لأنها لو استمالت هذا الزعيم الدينى الكبير والمعتدل لاستطاعت عن طريقة أن تجتذب قطاعا عريضا من الجماهير لتأييدها ولاستطاعت التفاهم مع الجبهة الوطنية التى أعلنت معارضتها لفكرة الكفاح المسلح ضد النظام ومطالبتها باقامة حكومة وطنية أئتلافية موقتة تكون مهمتها الخروج بالبلاد من محنتها (١) وقد أدت تصرفات الحكومة غير المتزنة إلى تشجيع الجماهير الغاضبة على

---

(١) صحيفه آيند كان العدد ٣٢٥٣ لسنة ١١ بتاريخ ١١ آبان سنة ١٣٥٧ هـ : ش
(٢) صحيفة رستاخيز العدد ١٠٥ بتاريخ ١٣ آبان سنة ١٣٥٧ هـ ش

التطرف والالتفاف حـــول الزعماء المتطرفين من رجال الدين أو الانضمام إلى التشكلات اليسارية والماركسية المعادية للنظام ، وكان هذا مايخشاه كل من آية الله شريعتمداري والجبهة الوطنية لأن هذا التطرف سيقود البلاد من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار ، والحقيقة أن الشاه قد حاول التفاهم مع بعض العناصر المعارضة لعله يستطيع عن طريقها أن يخرج البلاد من هذه الأزمة فعقد سلسلة من] الاتصالات مع بعض الزعماء السياسيين الموجودين فى إيران واستمع إلى وجهات نظرهم لـكن الشاه فى الواقع لم يـكن ينظر للأمور من خلال منظار جديد يوضح تطور الأمور على حقيقتها ، وإنما كان كل همة أن يعثر على رئيس وزراء قوى يستطيع الإمساك بزمام الأمور ، ويتمـكن من دفع هذه الفوضى السياسية عن البلاد وكان يلوح للزعماء السياسيين بنفس الأوراق القديمة التى كان يلعب بها فى الماضى ، وقد أدرك الخمينى مايرمى إليه الشاه فأعلن على الفور أن كل من يتصل بالنظام أو يتفاوض معه سوف يطرد من الحركة الإسلامية ويصبح عدوا لها ، كذلك أكد آية الله طالقانى هذا الأمر عندما أعلن أن الوقت أصبح متأخراً بالنسبة للنظام الحاكم فى إيران الآن وحذر الجبهة الوطنية من الانخداع بمناورات الشاه ونظامه وأكد لزعمائها أنه كان يتعاون مع الجبهة الوطنية منذ عهد الدكتور مصدق وأنه ملزال على استعداد للتعاون معها والتوسط بينها وبين الخمينى من أجل اتخاذ موقف موحد وبناء استراتيجية موحدة . (١)

ولقد كانت الجبهة الوطنية والزعيم الدينى شريعتمدارى والسياسى القديم على أميى ميالين لإقامة حكومة ائتلافية ولـكن كان واضحا أن الجبهة الوطنية كانت تريد لنفسها الزعامة فى هذه الحكومة وأعلن متحدثها صراحة أنه ينبغى أن يرأس كريم سنجابى زعيم الجبهة مثل هذه الحـكومة ، فى حين كان على أمينى يطمع فى رئاستها ، وكان يحاول الحصول على تأييد شريعتمدارى ويبدو أنه كاد ينجح

(١) صحيفة رستاخيز العدد ١٠٥٤ بتاريخ ١٣ آبان سنة ١٣٥٧ هـ . ش.

فى ذلك لولا أن الشاه لم يكن يثق فيه حيث قال عنه : « إنه صديق أمريكا المفضل ضغطت علي كثيرا لأعينه رئيسا للوزراء واضطررت إلى ذلك، وقد راجت إشاعة عن أن كيندى قد عرض على مساعدة قدرها خمسة وثلاثين مليونا من الدولارات لأجل القبول بأمينى إلا أن الإشاعة عارية تماما من الصحة والواقع أن أمينى نفسه حصل على المبلغ من الولايات المتحدة بعد استلامه للمنصب إلا أنه أساء التصرف بعد ذلك لدرجة أحوجته لطلب ستين مليونا أخرى من الأمريكيين الذين رفضوا الطلب(١) »وطبيعى أن نظرة الشاه له على هذا النحو لا تجعله يختاره مرة أخرى للوزارة كما أن الجبهة الوطنية أعلنت عن عدم أشتراكها فى أية حكومة يرأسها أمينى . وقد كان واضحا أيضا أن سنجابى كان مترددا فى الاتصال بالشاه أو الإتفاق معه على مثل هذه الحكومة ، كما كان الشاه يخشى وقوع سنجابى تحت تأثير رجال الدين وخاصة آية الله الخمينى الذى أعلن صراحة عداءه للشاه .

فشل بختيار فى معالجة الموقف :

وتلاحقت الأحداث وضيقت الخناق على الشاه بحيث أوجد نفسه مضطرا للتعاون مع الجبهة الوطنية دون زعيمها سنجابى الواقع تحت تأثير الخمينى ، وقد نجح فى الاتصال بالرجل الثانى فى الجبهة وهو شابور بختيار ، حيث يقول الشاه فى مذكراته : « اقترح الجنرال مقدم رئيس جهاز السافاك تعيين بختيار رئيسا للوزارة وقد كان وزيرا فى حكومة مصدق وعضوا فى الجبهة الوطنية ، واتصلت به عن طريق آموزجار وجاء به الجنرال مقدم إلى قصر نياور أن بعد فشل المباحثات مع سنجابى الذى اتخذ جانب الحذر والصمت ، وتحدثت مع بختيار لفترة طويلة بالغ فيها فى التعبير عن ولائه للدستور والملكية وأراد مراعاة الدستور بتسمية

---

(١) صحيفة الشرق الأوسط بتاريخ ٢٤ / ١٢ / ١٩٨٠ « مذكرات الشاه »

مجلس وصاية ينوب عني لدى مغادرتي البلاد في عطلة ، وقد عينته على أمل أن يحالفه الحظ ويستطيع إنقاذ البلاد من الخراب الذي حاق بها » (١).

وما أن وافق بختيار علي تولي السلطة حتى اضطربت الأمور داخل الجبهة الوطنية ودار الجدل فيها وحولها وكادت تتصدع نتيجة للهجوم والضغوط التي تعرضت لها من جانب العناصر المختلفة المعارضة للنظام ، وكان على زعماء الجبهة أن يقرروا ما إذا كانوا سوف يسيرون خلف بختيار ويقبلون الاشتراك معه في الحكومة الوطنية أو ينقلبوا عليه مسايرة للحركات الأخرى ، والواقع أن زعماء الجبهة الوطنية قد حذروا بختيار من المضي في مسعاه وحاولوا الضغط عليه بل وتهديده ربما بدافع من الغيرة على الجبهة خوفا من الذوبان والتشتت والضعف ، وربما خوفا من مواجهة تكتل القوى المعارضة الأخرى ضدها ، وربما خوفا تحمل هذه المسئولية الثقيلة على عاتقها وحدها ، وربما خوفا من تهديدات آية الله الخميني وأنصاره وجبهة رجال الدين ، وليس من المستبعد أيضا أن يكون حسدا من زعماء الجبهة لبختيار علي استئثاره بالزعامة دونهم وظهوره بمظهر المنقذ أو البطل الذي ضرب المثل في الشجاعة والقدرة على تحمل المسئولية .

وقد مضى شابور بختيار قدما فيما انتوى عليه ضاربا بتهديدات زملائه وغيرهم من المعارضة عرض الحائط ، فاجتمعت قيادات الجبهة الوطنية وقررت طرد بختيار وأعوانه من الجبهة ، كذلك أعلن آية الله الخميني طرده من الحركة الإسلامية . وأعلنت باقي الأحزاب المعارضة عن رفضها التعاون معه ، ورغم ذلك أعلن بختيار تعهده بأن يـ ـم بـ ـد الإصلاحات التي يطالب بها الشعب من خلال الدستور ، واتفق مع الشاه أن يغادر البلاد في إجازة حتى تستقر الأوضاع بحيث يعود بعدها ملكا يملك ولا يحكم وبحيث تطبق أصول الملكية البرلمانية كما نص عليها دستور سنة ١٩٠٦ م النيابي ، والواقع أن بختيار لم يكن يدري بما خطط له الخميني مع

---

(١) صحيفة الشرق الأوسط بتاريخ ٢٤ / ٧ / ١٩٨٠

أنصاره داخل إيران وخارجها ، كما أنه لم يزن حجم قوة الخمينى وأتباعه بالصورة الصحيحة،وقد كان واثقا من نفسه وقدرته على مواجهة الموقف أكثر مما ينبغى، واضعا فى أعتباره أن أية إصلاحات لا يمكن أن تتم قبل أن يتمكن من إحكام قبضته على مجريات الأحداث بما فى ذلك إعادة الهدوء والنظام والأمن للبلاد ، لذلك أستعان بالجيش فنزلت وحدات من القوات المسلحة إلى الشوارع ، وكان معنى ذلك تصعيد الصراع إلى ذروته فإما أن يتمكن بختيار بقوته العسكرية من الامساك بزمام الأمور وهذا ما كان واثقا منه ، وإما أن ينقلب الأمر ضده وينتصر معارضوه عليه ، ولكنه كان يحبذ المغامرة ، وقدروج معارضوه أن نزول الجيش إلى الشوارع يعتبر عملا عدائيا ضد الشعب واستفزازا صريحا له وعودة إلى الدكتاتورية وفرض الملكية بالقوة وإعادة التسلط والاستبداد بعد أن نجح الشعب فى مقاومته ، وكانت الفرصة سانحة لكل من رجال الدين واليساريين حيث أعلنوا الثورة الشعبية ودعوا الجماهير للنزول إلى الشوارع تصديا للاستبداد وقد وجدت هذه الدعوة استجابةقوية حيث أخذت الجماهير تتدفق إلى الشوارع والميادين ، والقيادات المعارضة تمضى قدما فى تصعيد الموقف وتحريض الناس بحيث تجمع فى ميدان الجيش « سبه » وما حوله أكثر من مليونى شخص من الرجال والنساء والأطفال جلسوا على الأرض وأحرقوا إطارات السيارات وهاجموا المكاتب الحكومية فى المنطقة وأخذوا يقذفون قوات الجيش بالحجارة متصايحين بعبارات الاحتجاج ضد تصرفات بختيار و قراراته ، وقد حاول الجيش تفريق الجماهير المحتشدة بإطلاق الرصاص فى الهواء وبالقنابل المسيلة للدموع وبقنابل الدخان، إلا أنه فشل فى ذلك إزاء تصميم المعارضة والجماهير من ورائها على المضى فى تصعيد الموقف حتى النصر ، وقد أضطر الجيش إلى إطلاق النار على الجماهير لإرعابها وسقط بعض الضحايا دون أن يؤثر ذلك فى موقف الجماهير بل زاد من غضبها فأذعن الجيش وأوقف إطلاق النار وانسحب إلى ثكناته وترك الجماهير تتصرف كما تشاء .

عودة الخميني وإعلان الثورة الإسلامية :

أصبحت الظروف بذلك موانية لعودة الخميني إلى إيران رغم أنف الحكومة وإعتراض بختيار الصريح على دخوله وسط هذه الأضطرابات . إلا أن الخميني سمم على العودة ولعل هذا التصميم يوحى بأنه وراء هذه الاضطرابات وأنه لاخطر عليه منها حيث تم اتخاذ التدابير من جانب أنصاره لحمايته ، وأذعن بختيار في النهاية ، ووصل الخميني إلى إيران فاستقبل استقبال الفاتحين المنتصرين والتف حوله الناس والزعماء وأصبح سيد الموقف في ايران فلم يجد بختيار بدا من ترك البلاد والذهاب إلى باريس لتبدأ مرحلة جديدة من تاريخ إيران هى ماسميت بالثورة الإسلامية تحت زعامة الإمام الخميني ومجلسه الثورى الإسلامى ، ويبدو أن مجلس الثورة الإسلامية قد تشكل قبل وصول الإمام إلى إيران وكان يدير الأمور داخل البلاد في سرية تامة ، وقد ظل بعد عودة الخميني يدير شئون البلاد دون أن يعلن عن أسماء أعضائه ولكنه كان مضطرا لأن يقدم للحاكم حكومة مسئولة يوجهها ويراقبها وقد اختار الإمام الخميني المهندس مهدى بازرجان رئيسا لهذه الحكومة المؤقتة ، وكان اضحا أنه حاول إرضاء كافة القوى الوطنية التى شاركت في الثورة على اختلاف مشاربها فاختار كريم سنجابى زعيم الجبهة الوطنية وزيرا للخارجية وداريوش فروهر المتحدث الرسمي باسمها وزيرا للعمل كماضمت الحكومة وزراء يمثل كل منهم اتجاها سياسيا شارك في صنع الثورة فأصبحت هذه الحكومة حكومة زعامات أكثر منها حكومة إسلامية متجانسة ، وقد أعلن بازرجان أسماء أعضاء وزارته على هذا النحو عباس أمير انتظام نائبا لرئيس الوزراء للشئون الإدارية والعلاقات العامة ومتحدثا رسميا للحكومة ، الدكتور إبراهيم يزدى نائبا لرئيس الوزراء لشئون الثورة ، الدكتور كريم سنجابى وزرا للخارجية ، أحمد حاج سيد جوادى وزيراً للداخلية ، على إردلان وزيرا للاقتصاد والمالية ، الدكتور أسد الله مبشرى

وزيرا للعدل ، المهندس عباس تاج وزيرا للطاقة الدكتور على محمد ايزوى وزيرا للزراعة ، الدكتور رضا صدر وزيرا للتجارة ، الدكتور كاظم سامى وزيرا للصحة وتحسين البيئة ، الدكتور يد الله سحابى وزيرا للدولة لشئون التخطيط الثورى ، أحمد مدنى وزيرا للدفاع ، الدكتور سيد أحمد ميناجى وزير الاعلام والسياحة المهندس مصطفى كتيرائى وزيرا للنقل والطرق ، المهندس معين فر وزيرا للصناعة والتعدين ، واريوش فروهر وزيرا للعمل والشئون الإجتماعية ، المهندس هاشم صباغيان وزيرا للدولة ، اللواء ولى قرهنى رئيسا للقيادة العامة الوطنية للقوات المسلحة ، اللواء ناصر مجالى رئيسا للشرطة ، حسن نزيه رئيسا لشركة البترول الوطنية الإيرانية ، صادق قطب زاده رئيسا للاذاعة والتليفزيون ، أبو الحسن بنى صدر مستشار اقتصاديا للحكومة . (١)

ومع بدء ممارسة هذه الحكومة عملها بدأت الجماعات السياسية التى اشتركت فى الثورة تبحث عن نصيبها من الغنائم بل وتعطى لنفسها الحق فى الحصول عليه بنفسها فأصبحت إيران تحكم بواسطة مراكز القوى التى اقتسمت الإدارات والمرافق والمحافظات بل والمدن والقرى واضطر الإمام الخمينى إلى الإبقاء على المجلس الثورى بعد أن فكر فى حله ليمارس حكم البلاد عن طريقة مع الحرس الثورى الذى يكفل له والسيطرة ، وحتى تخرج الحكومة من هذا الحرج أعلنت أن مهمتها تنتهى بإجراء استفتاء فى البلاد على نظام الحكم واختيار رئيس للبلاد ، وقد مضت الحكومة فى الأعداد لهذا الاستفتاء الشعبى وكان السؤال الوحيد الذى طرحته على الشعب من خلال هذا الاستفتاء هو . هل توافق على إقامة جمهورية ديمقراطية إسلامية أم لا ؟ وقد باركت كافة الجماعات السياسية هذا الاستفتاء واعلنت عن استعدادها للاشتراك فيه حتى حزب توده الشيوعى أعلن أنه سوف يصوت لصالح الجمهورية الإسلامية ويؤيدها (٢) ومهما اختلفت الدوافع لدى الجماعات

(١) صحيفة الإيرانية بتاريخ ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ بهمن سنة ١٣٥٧ هـ . ش
(٢) صحيفة كيهان العدد ١٠٦٩٢ بتاريخ ٢٤ اسفند سنة ١٣٥٧ هـ . ش

السياسية المختلفه فى تأييد قيام الجمهورية إلا أن تأييدحزب توده لها كان فى الواقع يمثل بعد نظر من المخططين لهذا الحزب .

ومع انقضاء الشتاء الساخن وإنتهاء عام ١٣٥٧ هش الحاسم وبداية السنة الإيرانية الجديدة بدأت مرحلة جديدة من تاريخ إيران أصدق ما يقال عنها انها مرحلة مشاكل الحكم والإدارة والتى لم تنته وحتى تاريخ كتابة هذا البحث .

المبحث الثالث

الثورة بين مخططيها ومعارضيهم

لعل الدارس قبل أن يتابع مسيرة الثورة الإسلامية التي نجحت في الإطاحة بنظام الحكم الملكي الامبراطوري) في إيران ينبغي أن يقف متسائلا . هل قامت الثورة بطريقة شعبية عفوية أم أنه قد خطط لها ؟ ولاشك أن الإجابة على هذا السؤال تحتاج إلى كثير من التأمل والدراسة وتحليل الأحداث ، والحق أن أية ثورة مهما كان شكلها الشعبي الجماهيري ، ومهما كانت درجة تخبطها بين النجاح والفشل وبغض النظر عن الظروف التي احاطت بها ، لابدوأن يكون قد جرى لها شيء من التخطيط أما العضوية فربما تبدو بعد ذلك في مواجهة الأحداث غير المتوقعة التي تصادفها هذه الثورة ، إن مجرد إثارة الجماهير وتجميعها وحثها على المطالبة بحقوقها أو بالمعارضة ضد النظام القائم لايتم عفويا كما أن السخط لابد وأن يسبقه إثارة للمشاعر وتقوية للاحساس بالظلم ، والذي لا يستطيع أي دارس أن يشك في وقوعه هو أن هذه الثورة الإسلامية التي قامت في إيران قد خطط لها تخطيطا جيدا ، ويكفي لتأكيد ذلك أنها قد نجحت في تغيير نظام الحكم بشكل لم يكن متوقعا إزاء كافة الظروف التي أحاطت بها من الدخل والخارج .

والسؤال الذي يطرح نفسه في هذا المجال هو : من هو المخطط الحقيقي لهذه الثورة ؟ وماذا كانت خطته ؟ والإجابة على هذا السؤال ليست سهلة إلا أن النظرة التحليلية المقارنة لظروف هذه الثورة وعناصرها وزعمائها يمكن أن تكشف لنا بالترجيح لا القطع عن شخصية المخطط الحقيقي ، وعن أسلوبه في التفكير والعمل .

ورغم مايبدو في الظاهر من اشتراك كافة العناصر التي عارضت النظام الملكي في إيران من التخطيط لهذه الثورة وخاصة الزعيم الديني آية الله روح الله الخميني ، أو أو حزب تودة الشيوعي مع سائر الأحزاب الماركسية الأخرى ، أوالجبهة الوطنية ، أو الزعامات الدينية ، أو ادعاءات أجهزة الإعلام الغربية بأن الولايات المتحدة الأمريكية هي من خطط للثورة . إلا أن الدارس لايسعه إلا أن يرفض هذه

الادعاءات فليس كل مايروج له هو الحقيقة ، ولـكن الأفـكار الأصيلة والتصرفات المتزنة الواعية التى تبدو وسط موجات التطرف ومحاولات الاستغلال هى التى تحـكم المد الثورى وتقننه . وسوف نحاول فيما يلى أن نعرض لأفـكار زعماء الثورة وأقصد بهم العناصر البارزة المشتركة فيها — وتصرفاتهم حتى يتبين لنا من خطط لهذه الثورة وكيف كان أسلوبه فى التطبيق والتنفيذ ، وما مدى نجاح تجربته الثورية فى إطار الظروف المختلفة .

نظرية الخمينى حول الحكومة الإسلامية

لاشك أن من يتعرف إلى شخصية الزعيم الدينى أية الله العظمى روح الله الخمينى يدرك لأول وهلة أنه فقيه شيعى وعالم دينى ، له فكره القائم على اقتناعه التام بمادرس من علوم القرآن والحديث والفقه والمذهب الشيعى ، فهو مفكر فيلسوف إلا أن فلسفته من النوع القائم على الاستنباط من المقدمات النقلية والنصوص الثابتة فهو لايقدم فلسفة جديدة بقدر ما يقدم بلورة لأفكار دينية ومذهبية ، ولعل الجديد الذى يقدمه هو الجانب العملى من هذا الفكر ففكره ليس جديدا بل طرقه من قبله كثير من المصلحين سنة كانوا أم شيعة ولكنه يستفيد من خلاصة التجارب السابقة فى الدعوة إلى الله والدعوة إلى الإصلاح ، ومن تجارب ثوار الشيعة مع السلطات الحاكمة فى العالم الإسلامى حيث تأكد له بعد ذلك أن الإصلاح لايتم إلا من خلال حكومة إسلامية بالمعنى الشيعى لهذه الكلمة .

والخمينى شأنه شأن أى مفكر آخر يتدرج بفكره صعودا أو عمقا حيث بدأ مناهضا للعلماء الذين استسلموا للسلطان وأصبحوا يصدرون أحكامهم وفق هواه أو تبريرا لتصرفاته مؤكدا أنهم أخطر على الاسلام من أى عدوان فإذا انحرف العالم أمكن أن تنحرف مع انحرافه أمة . (١) حيث أن مسئولية العلماء تختلف عن سائر الناس فى حجمها وثقلها، لقد ذهب الخمينى إلى أبعد من ذلك عندما كفر هذا الصنف من العلماء وأكد أن توبته غير مقبولة (٢) إستنادا إلى قوله تعالى إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب (٣) .

---

(١) روح الله الخمينى : الجهاد الأكبر . الترجمة العربيه للدكتور حسن حنفى ص ٣٩

(٢) المرجع السابق ص ٤١

(٣) سورة النساء آية ١٠٧

ولعل أول خطوة فى رأية من أجل تحقيق الهدف هى إصلاح المجامع الدينية والعلمية بوضع برنامج تعليمى وتثقيفى وإعلامى لرجال الدين ، فالمجامع الدينية والعلمية جزء من المجتمع والشعب ،لذلك ينبغى الاهتمام بالإصلاح الفكرى والأخلاقى لها ومحو الآثار الفكرية والنفسية الناتجة عن دعايات الأجانب وسياسات الحكومات الخائنة والفاسدة . (١) ثم سعى الخمينى إلى محاولة إصلاح المجامع الدينية والعلمية داعيا العلماء إلى التحلى بالفضائل واجتناب الرذائل ، كما حاول أن يرسم دورهم فى أن يكونوا عنصرا فعالا مؤثرا يتحمل قيادة أمة من الناس يوجهونهم الوجهة الصحيحة وليستميتون فى الدفاع عن الإسلام مع مواصلة الدرس وتملك نظرة فقهية عميقة مع إصلاح النفس واكتساب المكارم والقوى المعنوية الخلاقة . (٢) ويؤكد الخمينى على إصلاح النفس قبل الخروج للناس حيث أنه إذا كبرت العمامة وطالت اللحية ولم يبلغ العالم ما يراد له من التهذيب فستدركه أنفة يصعب عليه معها أن يكبح النفس الأمارة بالسوء ، لذلك دعا العلماء إلى أن يفكروا فى أمرهم قبل أن يدخلوا المجتمع بنفوذ كبير وشخصية مؤثرة قد تنسيهم أنفسهم أو تفقدهم القدرة على معرفه أنفسهم (٣) ولعل اهتمام الخمينى بإصلاح للعلماء ليس من منطلق الحديث الشريف المشهور بأن العلماء هم ورثة الأنبياء فحسب بل من منطلق الفكرة الشيعية عن وكيل الإمام أو نائبه فمن المعروف فى الفكر الشيعى الأثنى عشرى أن الإمام الثانى عشر محمد المهدى غائب غيبة كبرى ولايدرى أحد متى يعود ، ولذلك ينبغى أن يكون له نائب يتولى الشئون الدينية ورعاية حرمات الله ويتصرف فى خمس الأموال الذى أقره المذهب الشيعى والذى يقتطع من أموال الشيعة وأرباحهم ليوزع على فقرائهم وفى الأوجه الشرعية الأخرى ، وليس أجدر من الفقيه فى تولى هذه المهمة طوال فترة غياب الإمام ، ولاشك أن الفقيه الذى هو من طائفة كبار رجال الدين يتخذ له معاونين يساعدونه فى إحياء الأمور الشرعية

---

(١) روح الله الخمينى : حكومت إسلامى ص ١٦٤
(٢) الخمينى : الجهاد الأكبر ص ٤٤ الترجمة العربية

مما يرفع من قدر رجل الدين ويحتم على من يريد تطبيق الشريعة الإسلامية وفق المذهب الشيعى الأثنى عشرى أو الإمامى أن يصلح هذه الطائفة قبل أن يتخذها بطانة له والواقع أنها فكرة جديرة بالاهتمام إلا أن الدارس يدرك أنها لم تنفذ تنفيذاً كاملا قبل قيام الثورة الإسلامية .

ثم يتدرج الخمينى فى فكره عمقا فيرى أن الخطوة التالية لإصلاح المجامع الدينية هى إقامة حكومة إسلامية ، ويحاول الخمينى أن يلخص أسلوب قيام الثورة لتحقيق حكومة إسلامية ، ويحاول الخمينى أن يلخص أسلوب قيام الثورة لتحقيق هذا الأمر ومقدماتها فى قوله : إن واجبنا فى إقامة حكومه إسلامية حقيقية يكمن فى أن نجتهد بالدعاية لها والإعلام عنها لكى نخلق نسقا فكريا ونوجد موجة إعلامية وفكرية ، حتى تظهر الأحداث الاجتماعية وتقوم الجماهير المتدينة الواعية بدورها بالثورة تدريجيا وتقيم الحكومة الإسلامية . (١) إن فى بلادنا مراكز دعاية مضادة للإسلام يديرها المسيحيون والصهاينة والبهائيون تضلل الناس وتبعدهم عن تعاليم الإسلام وتوضحه للناس كما ينبغى أن يكون رجال الدين نموذجا فى إسلامهم للقيادة والحكومة الإسلامية خاصة لطائفة الجامعيين والمتعلمين ولشعوب العالم، كما ينبغى الاستفادة من الاجتماعات الدينية التى يذهب إليها المسلم برغبته مثل الحج وصلاة الجمعة وسرادقات العزاء فى عاشوراء ، فإذا اجتمع المسلمون فى كل هذه المناسبات وتدارسو مشاكلهم العامة وقرروا حلها لما وصل الأمر إلى هذا الحد فينبغى أن ترتب هذه الاجتماعات بجدية ويستفاد منها فى الإعلام والتعليم حتى تتسع النهضة الإسلامية الاعتقادية والسياسية ، فالفقهاء حصن الإسلام حيث يمكنهم بأحاديثهم الثورية شرح الإسلام وعقائده ونظمه والدفاع عنها وإيقاظ الجماهير وقيادتهم (٢) . ويؤكد الخمينى أنه ليس من المنتظر أن تؤدى الدعاية وحدها إلى حكومة إسلامية ولكن لابد من النشاط المتنوع والمستمر فإن هذا الهدف

---

(١) الخمينى : حكومت إسلامى ص ١٠٢

(٢) المرجع السابق ١٠٢ — ١٠٦

يتطلب وقتا لتحقيقه بل ينبغى أن تتابعة الأجيال لأن خدمة الإسلام والسعى فى سبيل خدمة البشر ليس أمرا شخصيا فالرجال العظام لاييأسون ، بل هم يخططون تحت أى ظروف وقد يستطيعون تنفيذ خططهم وإلافإنهم يتركون أمر التنفيذ إلى الأجيال القادمة (١).

ولا شك أن رجال الدين لايمكنهم وحدهم النهوض بمسئولية إقامة حكم إسلامى ومن ثم يؤكد الخمينى على ضرورة قيام التعاون بين رجال الدين ورجال العلم والمكافحين والأحرار من أجل إقامة حكومة إسلامية (٢) ، وحتى يقوم مثل هذا التعاون ينبغى أن تقوم الثقة الكاملة بين هذه الأطراف وعلى رجال الدين أن يبدأوا بأنفسهم حيث ينبغى تصفية المجامع الدينية والعلمية وطرد فقهاء البلاط وفضحهم أمام الشعب فهم يفسدون بين المسلمين باسم الإسلام والخمينى لايشير بقتل هؤلاء لأنهم ليسوا قابلين للقتل ولكن من المهم كشفهم ورفع العمامة عن رأسهم ومنعهم من الظهور فى المجامع العامة بالعمامة وأنه ليس من الضرورى ضربهم وإنما خلع هذا الزى الشريف عن أجسامهم (٣). هذه الوسيلة هى المثلى فى خلق علاقة من الثقة بين المجامع الدينية وبين رجال العلم والثوار الأحرار، ولكى يقيم الخمينى مبرر المثل هذا التحالف يؤكد أن النظام الملكى نظام غير إسلامى حيث يقول : إن الدستور ومتمماته المتعلقة بالسلطنة وولاية العهد وغير ذلك بعيدة عن الإسلام بل هى ضد الاسلام وتخالف أسلوب الحكم الإسلامى ، لقد أبطل الإسلام نظام الملك وولايه العهد وطوا ه فى إيران والروم الشرقية ومصر واليمن منذ صدور الإسلام فمثل هذا النظام هو الذى ثار ضد الحسين عليه السلام واستشهد فى

---

(١) نفسه : ص ١٦٠

(٢) نفسه : ص ١٦٦

(٣) نفسه : ص ١٧٢

محاربته (١) ، وقد عال الخمينى معارضته للنظام الملكى على أساس أنه يسمح بإقامة أنواع من المعاملات التى تقوم على الربا و الرشوة و الفساد لذلك فهو نظام مفسد، وأن الحق والشرع يطالبان بعدم ترك مثل هذه النظم تستقر وتستمر لأن استقرار نظام سياسى غير إسلامى سوف يعطل تنفيذ النظام السياسى الإسلامى بدليل أن كل نظام غير إسلامى يكتنفه الشرك بالله لأن حاكمه الطاغوت ، لذلك فإن واجب المسلمين فى كل بلد إسلامى هو أن يعملوا على قيام الثورة الإسلامية السياسية وانتصارها (٢) .

ثم يحدد الخمينى خطوات إسقاط الحكومة الظالمه على هذا النحو : أولا : قطع العلاقات مع المؤسسات الحكومية ومقاطعتها ، وعدم التعاون معها ثانيا ، والتعفف عن كل نوع من المساعدات التى تقدمها ثالثا ، وإيجاد مؤسسات جديدة قضائية ومالية واقتصادية وثقافية وسياسية ،حيث يرى ضرورة استبدال مؤسسات الحكومة غير الشعبية الظالمة بمؤسسات للخدمة العامة تدار حسب قانون الإسلام وبذلك تستقر الحكومة الإسلامية تدريجيا (٣) والخمينى على يقين من أن الشعب إذا استطاع أن يسقط أجهزة الحكم الجائرة ويتخلص منها فإنه سيجد مشروع الحكومة والإدارة والقوانين اللازمة جاهزة ، فإذا كانت الحكومة يلزمها الضرائب والدخل فقد حدد الإسلام ذلك ، وإذا كانت تلزمها قوانين فقد وضع الإسلام هذه القوانين فليس من حاجة بعد تشكيل الحكومة إلى الجلوس لوضع القانون أو استعارة قوانين الأجانب والغرب ، وإنما تبقى برامج الوزارات التى يمكن أن تطرح بمساعدة عدد من المستشارين والمساعدين المتخصصين فى المجالات المختلفة ويناقشها مجلس شورى ويقرها (٤) وقد وضع الخمينى تصورا للأجهزة والمؤسسات التى تدير البلاد تحت

---

(١) نفسه : ص ١٠

(٢) نفسه : ٣٩

(٣) نفسه ص ١٢٩

(٤) نفسه ص ١٦٦ — ١٦٧

ظل الحكم الإسلامى ، كما وضع عددا من الشروط والضوابط لهذه الأجهزة ومسئوليها على هذا النحو :

أولا : ولاية الفقية : بمعنى أن ينوب شخص عن الرسول صلى الله عليه وسلم فى إقامة الناس حيث يقول : نحن نعتقد أن الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم ينبغى أن يعين خليفة له وقد عينه ، فهل تعيين الخليفة من أجل بيان الأحكام ؟ إن بيان الأحكام لا يحتاج إلى خليفة ولكن من اللازم عقلا أن يعين الخليفة للحكم ، إننا نريد خليفة لتنفيذ القوانين (١)

ثانيا : ضرورة المؤسسات التنفيذية : يقول الخمينى إن مجموعة القوانين ليست كافية لأصلاح المجتمع بل يلزمها قوة تنفيذية ومنفذ ،وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم على رأس التنظيمات التنفيذية والإدارية للمجتمع الإسلامى وللخليفة بعد الرسول نفس الواجب والمكان، فكما وضع الإسلام القوانين وأقر السلطة التنفيذية جعل ولى الأمر هو المسئول عن هذه السلطة أيضا وألزم الناس بطاعته (٢) .

ثالثا : تنوع الأحكام والقوانين الإسلامية وكفايتها وتكوينها لنظام اجتماعى عام يضمن حقوق كافة الأفراد ويتضمن أحكاما مالية تستوجب تشكيل حكومة لتنفيذها ، ويتضمن أحكام للدفاع الوطنى ، ويتضمن أحكاما للعدالة والجزاء ، ولذلك فإنه نظراً للضرورة العقلية وضرورة تنفيذ الأحكام الإسلامية وبالنظر إلى سنة رسول الله وسيرة أمير المؤمنين على بن أبى طالب ومعنى الآيات والروايات فإنه من اللازم تشكيل الحكومة (٣) .

رابعا : اختلاف الحكومة الإسلامية عن سائر النظم والحكومات الإسلامية

---

(١) نفسه ص ١٧

(٢) نفسه ص ٢٣ — ٢٤

(٣) نفسه ص ٢٨ — ٢٩

ليست إستبدادية وليست مطلقة وهى نيابية بالكامل ولكنها ليست نيابية بالمعنى المتعارف عليه من ناحية تبعية تصويب القوانين للأكثرية وإنما يكون الحكام فيها مقيدين فى التنفيذ والإدارة بعدة شروط حددها القرآن المجيد وسنه الرسول الكريم مجموعة الشروط هى نفسها احكام الإسلام وقوانينه، وعلى هذا تكون الحكومة الإسلامية هى حكم القانون الإلهى على الناس، ومن هنا يمكن استبدال مجلس النواب الذى هو واضع القوانين وأحد السلطات الثلاث يستبدل بمجلس للتخطيط للوزارات فى ضوء أحكام الإسلام وهذه الخطط تحدد كيفية القيام بالخدمات العامة فى جميع أنحاء البلاد، فالحكم فى الحكومة الإسلامية لله وحده والقانون هو أوامر الله وحكمه (١).

خامسا : شروط الحاكم : أن يكون عالما بالقانون وعادلا والفقهاء حكام على السلاطين، فالإمام ينبغى أن يكون فاضلا وعالما بالأحكام والقوانين عادلا فى تنفيذها، والحكم بهذه الصورة لا يكون امتيازا بل واجبا خطيرا، كما أن الفقيه ليس وليا مطلقا بل ان الفقهاء مجتمعين أو فرادى يشكلون حكومة شرعية لتنفيذ الحدود وحفظ الثغور والنظام وهو واجب عينى على القادر وواجب كفاية على غير القادر، كما لاينبغى أن يكون الوالى بخيلا ولا جاهلا ولا مرتشيا ولا جافيا (٢) وقد أدلى الخمينى بأول تصريح سياسى له بعد عودته إلى ممارسة نشاطه والدعوة لفكرته بعد وصوله إلى باريس بثمانية أيام حول الحكومة الإسلامية فقال : لقد تصور بعض الأفراد الذين لايعرفون أسس الدين الاسلامى وحقائقه وواقعه العميق أن الحكومة الإسلامية تتنافى مع التقدم والرقى السائد فى عالم اليوم فى حين أن الدين الإسلامى المقدس هو المنقذ للبشرية حيث لم يبين طريقا إلا إلى رقى الإنسان وسموه وتقدمه نحو الكمال، إن تصور عدم الاستفادة

---

(١) نفسه ص ٤٥ — ٤٧

(٢) نفسه ص ٥٢ — ٦٣

من الوسائل الحديثة والاكتشافات العظيمة فى الحكومة الإسلامية تصور باطل ووهم خادع فشكل الهيئات والإدارات والمؤسسات الحكومية سوف تعمل باستفادة من أحدث الأساليب العلمية ولن يحدث فيها توقف ، إن أعداء الإسلام يريدون أن يلقوا فى القلوب الخوف من الحكومة الإسلامية ولكن أهل العلم يعرفون أنها لا ترجع إلى الوراء وإنما هى تبغى أن تطابق بين مبادىء الإسلام السامية وتقدم الإنسان السريع نحو الكمال الإنسانى والأخلاقى والاجتماعى والفنى فلن يكون فى هذه الحكومة فساد ولا رشوة ولا سرقة لأموال الناس ، وسوف تطبق تعاليم على بن أبى طالب ويخدم الناس بالعدل والإنصاف والصـــدق والحق (١) .

وعندما أرتفع أمر الخمينى وازدهرت دعوته وتوافد عليه المؤيدون والمرتدون وانهالت عليه الخطابات والبرقيات التى تطلب منه العودة إلى إيران لتنفيذ آرائه وتزعم حركة الإصلاح صرح لمراسل صحيفة لا كروا المسيحية اليسارية فى فرنسا قائلا . إن الخطوة الأولى التى نخطوها فى الوقت الحاضر هى انتزاع السلطة من من النظام القائم الذى يحول دون أى نوع من الرقى أو الإصلاح فى البلاد أما فيما يتعلق بوضع خطة للحكومة الإسلامية فهذه خطوة تالية، وسوف يشكل مجمع دينى له صلاحيات عن طريق الأنتخاب العام وسوف يقوم هذا المجمع باتخاذ القرارات(٢). وعندما التقى الصحفى المصرى محمد حسنين هيكل بالخمينى سأله قائلا . ماذا تستطيع أن تفعل بعد إسقاط الشاه ؟ أجاب : إن مذهبنا مذهب سياسى ولدينا العلماء فى كل فروع المعرفة فإذا ذهب الشاه طردنا معه عصابة اللصوص وحل محلهم خبراؤنا (٣) .

ويبدو للدارس من خلال مجموع هذه الآراء أن الخمينى يقدم أفكارا عامة

(١) صحيفة اطلاعات العدد ١٥٧٢٣ بتاريخ ٢٣ مهر سنة ١٣٥٧ هـ . ش
(٢) صحيفة كيهان العدد ١٠٦٠١ بتاريخ ١٠ آبان سنة ١٣٥٧ هـ . ش
(٣) صحيفة كيهان العدد ١٠٦٤٣ بتاريخ ٢ إسفند سنة ١٣٥٧ هـ . ش

سوا. فيما يتعلق بالنظرية أو التطبيق وليس برنامجا زمنيا منفصلا يمكن أن يوضع موضع التنفيذ ، لذلك فإن الدارس رغم كونه شاهد عيان على أن تسجيلات الخميني الصوتية التي كانت تتضمن إرشاداته وتوجيهاته كانت تصل إلى أيدي طلاب الجامعات وبالتالي إلى أيدي أفراد الشعب إلا أنه يبدو مستبعدا لديه أن يكون هو المخطط للثورة وإن كان المحرض عليها والداعية إليها والمرشد إلى النظام الذي ينبغي أن تتخذه وتسير عليه ، وهو كذلك المتبنى لكل من خطط لهذه الثورة بالأسلوب الذي وضع أسسه وقواعده ، ومما يؤكد ذلك أن التطور السريع للأحداث الأخيرة لم تتح الفرصة للخميني أن يطرح برنامجا تنفيذيا على الشعب ، كما أنه لم يشر أبدا إلى أنه وضع مثل هذا البرنامج .

والدارس المنصف لا يستطيع أن يحمل آية الله الخميني وزر الأخطاء التي حدثت في إيران منذ قيام الثورة بصورة مطلقة باعتباره مخططا وزعيما لهذه الثورة حيث الدلائل تشير إلى أنه لم يكن المخطط الحقيقي للثوره وإنما رفعته الجماهير إلى قمة الزعامة فيها فصار رمزا لوحدة القوى الثورية لازعيما بالمعنى الحقيقي لهذه الكلمة لذلك لا يكون من الإنصاف أن يحاسب على التطبيق أو يحكم على قدرته في السيطرة على الأحداث كزعيم، حقيقة أن نظرته كانت دليل رجال الدين في الثورة وأن حزب الجمهورية الإسلامية قد قام على أساسها واختار الخميني صاحب النظرية زعيما وأبا روحيا له وأن الخميني قد قبل هذه الزعامة عندما رأى أن هذا الحزب يحمل أفكاره ويسير وفق مبادئه إلا أنه فشل بعد ذلك في السيطرة على هذا الحزب، وقد تأكد لنا من قبل أن الخميني لم يبتكر هذه النظرية ولكنها تمثل فكر رجال الدين الشيعة بصفة عامة ، فقد قام العلامة محمد باقر المجلسي شيخ الإسلام والمسلمين في العصر الصفوي بوضع السياسة التي قامت هذه النظرية على أساسها بعد أن ثبت له من واقع تاريخ الدولة الصفوية أن الفقية لا يمكن أن يكون أحد ملوك هذه الدولة وأن القدسية التي أحاطت بهؤلاء الملوك كشيوخ للطريقة الصفوية قد زالت نتيجة ابتعادهم عن جادة الإسلام الحنيف فصاروا يحكمون البلاد الجور والظلم

ويمشون فى أنفسهم وفى الناس بالقتل والتعذيب والسجن والتشريد وفقدوا حب الناس لهم وثقتهم بهم وثقتهم فى قدرة هؤلاء الحكام على حماية البلاد ونشر الأمن والأمان وتنفيذ وصايا الأئمة الأطهار ، وقد نبعت سياسة المجلسى من ولائه الوطنى وإخلاصه الشيعى حيث حاول أن يعيد للمذهب قدسيته ورونقه وللبلاد وحدتها وعزتها وللاسرة الصفوية مجدها وقوتها ، فعمل على شرح المذهب الشيعى للناس والعامة ، والقضاء على البدع والخرافات ، ومحاربة الأفكار الدخيلة والعادات الذميمة رغم كونه وحيدا فى الميدان يضرب بعصا سلطان ضعيف متخاذل ، وإذا كان المجلسى لم ينجح على الصعيد السياسى والوطنى فى لم الشمل وجمع الشتات ورأب الصدع حيث سقطت الدولة الصفوية بعد وفاته بأعوام قليلة إلا أنه نجح على الصعيد الدينى والمذهبي فلقدظهرت قدرة هذا المذهب على المقاومة وعلى الصمود فى وجه أعدائه ، واستمر يوجه الآراء والأفكار والسياسات حتى يومنا ، وأصبحت سياسة المجلسى المذهبية نظرية ثابته الأركان لمن أراد أن يقوم الظلم ويدعو إلى الوحدة وصار المذهب الشيعى فى إيران أملا فى الخلاص يلتف حوله المجاهدون وأصبحت فكرة الإمام الغائب رمزاً يجدد الامل ويقوى العزم ويدعم الهمم .

وقد كان من الطبيعى أن يصبح فكر المجلسى أساس نظرية الخمينى وأن تجد هذه النظرية استجابة لدى الشيعه ودعما من رجال الدين لانها لم تعد نظرية الخمينى وإنما أصبحت نظرية الشيعة فى إيران كافة .

وإذا كان رجال الدين من أعضاء حزب الجمهورية الإسلامية قد استطاعوا أن أن يجعلوا من الإمام الخمينى زعيما لا يحكم ، وأن يحدثوا بعض التغييرات فى نظريته ويحرفوا آراءه لمصلحة حزبهم ، وأن ينفذوا هذه التغيرات تحت سمعه وبصره إلا أن وجودهم فى الحكم تدعيم لوجوده وبقاءهم فى السلطة بقاء لزعامته .

ولقد حاول بعض رجال الدين من غير أعضاء هذا الحزب أن يوجدوا نوعا من التطوير والإصلاح فى هذه النظرية ولكنهم إما هزموا أمام حزب الجمهورية الإسلامية فانتقلوا الى صفوف المعارضة وإما ماتوا قبل أن تتاح لهم الفرصة فى إحداث التغيير ، ونذكر من هؤلاء وهؤلاء نموذجين يتمثل الأول فى مهدى بازرجان رئيس أول حكومة للثورة ، وآية الله طالقانى رجل الدين الثورى .

آراء بازرجان الاصلاحية

الواقع أن المهندس مهدى بازرجان الذى كان زعيم جمعية الدفاع عن الحرية وحقوق الإنسان ورئيس الحكومة المؤقتة لثورة إيران الإسلامية وأول مسئول رسمى يتولى السلطة التنفيذية فى إيران بعد قيام الثورة يعتبر ثائرا مصلحا معتدل الأفكار واقعى النظرة ، حيث كانت آراؤه تتلخص فى الحرية والإصلاح الاجتماعى بالإضافة إلى ميوله الدينية ، لذلك فقد وجد منزلة كبيرة لدى الزعيم الدينى آية الله العظمى الخمينى وصار من المقربين إليه من غير رجال الدين خاصة مع نصاعة ماضيه وأمانته فى الفكر والعمل وإخلاصه لإيران والإيرانيين فكان من أوائل الأطراف التى كونت جبهة الخمينى وكان على رأس الفنيين الموثوق فيهم للثورة مما أهله لأن يكون أول رئيس حكومة لها ، وهو رغم هذ الموقع الذى تولاه لم يتطرف ولم يخرج حقد الماضى بل لعله كان الصوت العاقل الذى يقف فى مواجهة التطرف فكان دائما يردد أن الثورة لا تخشى من أعداء يتربصون بها خارج البلاد لأنها على علاقة طيبة بجيرانها كما أنها لم تعاد أحدا وأنما أخشى ما تخشاه أن يكون من قاموا بها هم أعدى أعدائها ، وكان يؤكد أن الثورة تواجه معظم مشكلاتها فى الداخل وأن جزءا من حلها فى يد الحكومة وأكثر الأجزاء فى يد أفراد الشعب ، لم يكن مع المحاكمات السريعة لموظفى النظام الملكى لأن هذا يسىء إلى سمعة الثورة الإسلامية . وهذا موقف طبيعى منه لأنه كان على رأس الجمعية التى عارضت اعتقال السياسى بدون محاكمة والتعذيب فى السجون وتزييف المحاكم ، كما أنه كان يؤكد الشعب أن الثورة ماقامت إلا بالاتحاد وتضامن كافة الجماهير بغض النظر عن عقائدهم ومذاهبهم وأن على هذا الاتحاد أن يبقى حتى تستمر الثورة وأن الثورة لم تنتصر بعد انتصارا كاملا بحيث يجلس من شاركوا فى قيامها لاقتسام الغنائم ، ولقد كان

بازرجان مصيبا عندما شبه الثورة بالمسجد فى بنائه حيث صممه شخص وقام بالعمل فيه بضعة أشخاص وتبرع له هذا بمائة تومان ، وتبرع ذاك بعشرة آلاف والجميع يعتبرون أنفسهم مالكين له وشركاء فيه فى حين أن المسجد لامالك له إلا الله (١)

وطالما ردد بازرجان فى أحاديثه وخطبه قوله : إننا نقول الجمهورية الإسلامية ولكن الإسلام ليس دين عداوة أو حقد أو إيذاء ولكنه دين مسئولية وحب وكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته (٢).

وقد ابتكر بازرجان فى وزارته وزارة جديدة سماها وزارة الدولة للتخطيط الثورى وجعل عمل هذه الوزارة هو الإعداد المعقول والمحكوم والمنظم والصحيح للحكومة الواقعية المستقبلة للثورة عن طريق تلقى اقترحات وآراء ونظريات كافة الأحزاب والمنظمات الثورية والقيام بتقنينها بواسطة لجان تشكل من مندوبين عن الأحزاب المختلفة وتتعاون فى إطار المجلس الأعلى للتخطيط الثورى بشكل إخلاص وبعيدا عن الرياء والإدعاءات (٣) ومن أسف أن هذه الوزارة لم توفق فى القيام بالمسئوليه التى ألقيت على عاتقها رغم الدعاية الضخمة التى حبذها لها بازرجان نظرا لعدم تعاون الجماعات السياسية الرئيسية معها ولم تتلق من المواطنين أكثر من شكاوى إدارية أو قضائية ، لذلك لم تستمر هذه الوزارة فى حكومة محمد على رجائى التى تلت حكومة بازرجان وشكلت بعد انتخاب مجلس النواب .

وقد يبدو غريبا إنتقال مهدى بازرجان بثقله السياسى من مقاعد الحكم إلى مقاعد المعارضة ، ومن الطبيعى أن يدل هذا الانتقال السريع والتلقائى على أن

---

(١) صحيفة كيهان العدد ١٠٦٩٢ بتاريخ ١٥ رديبهشت سنة ١٣٥٨ هـ . ش

(٢) صحيفة كيهان العدد ١٠٧١٠ بتاريخ ٢٩ ارديبهشت سنة ١٣٥٨ هـ . ش

(٣) صحيفة كيهان العدد ١٠٦٦٢ بتاريخ ٢٤ إسفند سنة ١٣٥٧ هـ . ش

بازرجان لم يكن مخططا بقدر ما كان مشاركا فى التنفيذ ، خاصة وأن كثيرا من وزرائه الذين تعاونوا معه فى إدارة شئون البلاد خلال المرحلة الانتقالية ، قد تحولوا معه إلى معارضين ، بل لقد انقلب البعض منهم ثائرا على النظام كله فتعرض للسجن والاعتقال أو اضطر للفرار خارج البلاد ، أو التحق بمعارضى النظـــام من أنصار الملكية الدستورية فى باريس وباقى دول أوربا .

طالقانى وفكره المتشدد

كان آية الله طالقانى قبل الثورة من رجال الدين المتطرفين فى مواجهة النظام الملكى مما أدى إلى القبض عليه ومحاكمته والحكم عليه بعشر سنوات قضى معظمها فى السجن حتى أطلقت حكومة شريف إمامى سراحة تحت ضغط رجال الدين وخاصة آية الله شريعتمداري ، ومن المؤكد أنه من الرجال الذين تعاونوا مع الجبهة الوطنية فى عهد مصدق ودعموها ووقفوا إلى جانبها ، وعندما أنهارت هذه الجبهة انضم إلى منظمة فدائى الإسلام التى قامت بعدد من الاغتيالات السياسية وأهمها أغتيال الفريق رزرم آرا رئيس الوزراء فى عهد الشاه ، وعندما خرج آية الله طالقانى من السجن دعته هذه المنظمة لزعامتها فوفق ، ومن ذلك الحين أصبح له حزب قوى مسلح ، وصار من الزعماء السياسيين الذين يتمتعون بتأييد شعبى كبير وتقدره الأحزاب الأخرى وتحترمه ، وقد شارك هو وحزبه فى صنع الثورة وصار من زعمائها الأقوياء إلى أن آية الله العظمى الخمينى كان يخشاه ويخشى امتداد نفوذه بين طبقات الشعب والدليل على ذلك أنه قد وقعت بينهما حادثة كانت بمثابة تجربة لاختبار القوى والنفوذ حيث أقدمت إحدى اللجان الثورية التى تدين بالولاء لشخص الخمينى على اعتقال أبناء آية الله طالقانى والاعتداء على أحدهم بالضرب، وعلى الفور اعلن طالقانى استنكاره للحادث وطالب الخمينى بسرعة العمل على إطلاق سراح أبنائه لكن الخمينى إدعى أنه لايعرف شيئا عن هذا الموضوع ولاعن المكان الذى اعتقلوا فيه، وبدأ حزب طالقانى يستعد للحرب مع اللجان الثورية وكادت تحدث مواجهة مسلحة خشى طالقانى من عواقبها لذلك أكد أنه لاينبغى انتكاسة للثورة أو حدوث حرب أهلية فى إيران وعلى هذا أمر أتباعه بأن يغلقوا مكاتبهم وقرر هو اعتزال العمل السياسى وغادر طهران إلى جهة لم يعلن عنها للاعتكاف ، إلا أن رجال الدين وعلى رأسهم آية الله شريعتمدارى رأوا فى هذا الأمر بادرة

خطيرة فأعلنوا احتجاجهم ومعارضتهم لإجراء اعتقال أبناء طالقانى وطالبوا آية الله الخمينى بأن يأمر اللجان الثورية بإطلاق سراحهم وإلا فإن الثورة سوف تأكل نفسها ، ويبدو أن موقف رجال الدين كان محرضا لقطاعات كبيرة من الجماهير على الخروج فى مظاهرات صاخبة أركاها حزب طالقانى لدرجة أن إحدى هذه المظاهرات ضمت أكثر من مليونى شخص من الرجال والنساء ، وقد اضطر الخمينى إزاء هذه الضغوط إلى تشكيل لجنة للتحقيق فى هذا الحادث وأمر بالإفراج فورا عن أبناء آية الله طالقانى (١) وقد عاد طالقانى على إثر ذلك منتصرا فى معركته التى خاضها لاختبار قوته أمام الأحزاب الأخرى وخاصة اللجان الثورية التى يتزعمها الخمينى نفسه . على أن آية الله طالقانى لم يكن زعيما دينيا وسياسيا فحسب بل كان أيضا مفكرا له آراؤه الثورية التى كانت تلقى استجابة من قطاعات عريضة من جماهير الشعب الإيرانى ، ومن أهم آرائه أن الحرية أهم من الرخاء الاقتصادى فلا معنى من توفير احتياجات الناس المادية مع سلب حرياتهم ، لذلك فإن الحكم الإسلامى لايجعل لفرد سلطة على فرد آخر وليس الإسلامى لا يجعل لفرد سلطة على فرد آخر وليس لحزب أو جماعة أى حق فى السلطة المطلقة على الشعب ، وإنما هناك حق الزعامة لاحق السلطة ، والنظام الإسلامى يختلف مع كافة الأنظمة الأخرى من دكتاتورية فردية أو رأسمالية أو شيوعية فى هذا الأمر (٢) وقد عارض آية الله طالقانى فكرة إحلال جيش شعبى محل الجيش النظامى قائلا : إن الجيش يحتاج إلى خبراء وطنيين مؤمنين ومن الضرورة بمكان وجود جيش ثابت أى جيش تكون له قيادة عسكرية لديها المؤهلات اللازمة على عكس ما يوجد فى النظم الرجعية من ارتباط درجة القيادة

---

(١) صحيفة كيهان العدد ١٠٦٨٤ بتاريخ ٢٧ فروردين حتى العدد ١٠٦٨٨ بتاريخ أول ارديبهشت سنة ١٣٥٨ هـ . ش .

(٢) صحيفة كيهان العدد ١٠٦٤٩ بتاريخ ٣٠ بهمن سنة ١٣٥٧ هـ . ش .

بمدى إخلاصها للملك . ولكن ينبغى أن يكون لإيران جيش حقيقى مغاير ومختلف تماما ، كما طالب بنزع السلاح من يد الإفراد غير المسئولين وإبقائه فى أيدى الأفراد المسئولين (١)

والواقع أن طالقانى كان يؤيد بازرجان حيث كانا صديقين خلال أربعين سنة قبل الثورة ، وكان يرى فيه إنسانا عاطفيا جدا ولكنه حازم فى عقيدته وفكره شديد المراس وأنه وجه معروف وأفكاره واضحة ولكنه ينبغى أن يبقى يده مفتوحة للناس حتى تمر الأزمة ، وكان يخالفه فى مفهومة للديمقراطية والحرية حيث كان آية طالقانى يرى أن الديمقراطية الإسلامية ليست المعنى الذى وضعه الغرب لتلك الكلمة ، وإنما ينبغى أن تتوافق مع المعايير العقائدية والأخلاقية والإنسانية والحرية لجميع الناس لا لجماعة أو طائفة خاصة (٢) ويرى أن كل الأحزاب السياسية والجماعات المختلفة مادامت تؤمن بإله واحد وقرآن واحد بالسنة النبوية وتوافق على زعيم واحد فلا ضرر من أن تختلف فيما بينها فى الرأى على أن يؤدى ذلك إلى تخريب هذة الثورة العظيمة التى هى وجه ومظهر للاسلام (٣) .

وقد أعلن طالقانى فى حديث إذاعى تليفزيونى له بعد الثورة وقبل موته : ليس من الصلاح أن يمسك رجال الدين بزمام المسئوليات الحكومية فالمسجد أفضل معقل لهم وأرجو أن يتنحى رجال الدين عن المسئولية بعد إيجاد حكومة مركزية وأن يعودوا إلى المسجد لمهمتهم الأصلية (٤)

---

(١) المرجع السابق .

(٢) صحيفة كيهان العدد ١٠٦٦٣ بتاريخ ٢٦ إسفند سنة ١٣٥٧ هـ . ش

(٣) صحيفة كيهان العدد ١٠٧٥١ بتاريخ ١٦ تيرماه سنة ١٣٥٨ هـ . ش

(٤) حديث إذاعى وتليفزيونى لطالقانى إلى الشعب بتاريخ ١٣ خرداد سنة ١٣٥٨ هـ . ش

والواقع أن موت طالقانى خلق فراغا كبيرا فى ساحة السياسة الإيرانية لأن وجوده على رأس حزب قوى وبهذة الأفكار المخلصه المتشددة كان يحفظ نوعا من التوازن المطلوب إزاء ظهور الصراع بين الزعامات الثورية فى إيران وإزاء عدم وجود حكومة حقيقية تسيطر على الأوضاع السياسية .

نظرية بنى صدر فى الحكم

أصدر الدكتور أبو الحسن بنى صدر كتابه الأخير تحت عنوان « قواعد الحكم الإسلامى وضوابطه »[١] ليتوج بحثه ودراساته حول الإدارة الإسلامية ويبلور فيه برنامجه الثورى لتغيير نظام الحكم فى إيران بعد أن أعلن يأسه من هذا النظام وعدم وجود بارقة أمل فى إصلاحه وذلك من خـــلال كتابه : . « إيران غربة السياسة والثروة »[٢] .

والواقع أن بنى صدر بدأ يظهر على السطح منذ أدلى بحديث صحفى خلال فترة إقامته فى فرنسا ونشر فى صحف باريس فى سبتمبر سنة ١٩٧٨م وصرح فيه بأنه عضو فى لجنة الدفاع عن الحرية وحقوق الإنسان التى يتزعمها مهدى بازرجان منذ إنشائها سنة ١٩٧٧ م ، وأكد أنه بدأ يمارس نشاطه السياسى المعارض للنظام منذ ١٩٧٠ م حيث عمل على شرح الوضع الإيرانى والإتجاهات الرئيسية لمستقبله القريب والبعيد ، وأن على إيران أن تقيم توازنا سلبيا بين القوتين الأعظم من خلال العمل بطريقة تؤدى إلى إزالة سيطرة قوة منهما مع منع القوة الأخرى من التدخل ، وأن التقدم الذى يتكلم عنه الشاه ليس سوى خدعة دون مضمون حقيقى وهو يتخاص فى عملية استهلاك واردات مدفوع ثمنها من الصادرات وهو تبذير لثروت البلاد خاصة وأن الواردات ليست حيادية لأنها تؤثر على الإقتصاد بطريقة تؤدى إلى تدميره ، والشعب يشعر بذلك بدليل أن مظاهراته العنيفة خلال الشهور العشرة الأخيرة استهدفت البنوك ودور السينما ومراكز الحزب الحاكم المحلية[٣] وقد أعلن بنى صدر صراحة أن بعض الإصلاحات لا تكفى بل ينبغى

---

(١) نشر هذا الكتاب على حلقات فى صحيفة كيهان العدد ١٠٦٤١ بتاريخ ٣٠ بهمن سنة ١٣٥٧ هـ . ش والأعداد التالية له .

(٢) ترجمة هذا الكتاب إلى العربيه بواسطة دار الكلمة ونشرته ببيروت سنة ١٩٧٩م

(٣) أبو الحسن بنى صدر : إيران غربة السياسة والثروة ص ١٢٣ وما بعدها

عمل تغيير شامل يولد من سقوط الشاه ونظامه عن طريق التحرك على الأصعدة الإقتصادية والسياسية والإجتماعية والثقافية والأيدلوجية ، فالتقدم فى ظل التبعية الاقتصادية مستحيل ، وعلى هذا يجب قطع الروابط العضوية لتبعية الخارج وتدمير النظام المصرفى الحالى وإقامة غيره وتحرير العملة الايرانية من ارتباطها بالدولار الأمريكى ، كما ينبغى إعادة دمج البترول بالاقتصاد الإيرانى ، ومن الضرورى قطع العلاقات الاقتصادية الحالية مع الخارج بتغيير بنية الصادرات وتوزيع النشاطات فى مختلف فروع الاقتصاد ، كما ينبغى وضع حد للنظام السياسى وإضفاء الطابع الشعبى على الجيش وتنظيم دفاع شعبى وحل جهاز السافاك ، كما ينبغى خلق نوع من القيادة المنظمة المرنة بما فيه الكفاية ، وإنه يوجد اليوم اهتمام بصياغة برنامج واضح ، برنامج سيظهر قريبا مع مواصلة النضال من أجل إسقاط الشاه ونظامه(١).

وقد حاول بنى صدر أن يشرح سياسة الشاه فى كافة المجالات ويوضح عيوبها فى كتابه « غربة السياسة والثروة » مؤكدا أنها سياسة تبعية للولايات المتحدة الأمريكية حيث يقول عن السياسة البترولية فى عهد الشاه : إن البترول منذ إبتداء إنتاجه واستغلاله بقى غريبا عن الاقتصاد الإيرانى ، وفى نفس الوقت كان أحد العوامل الرئيسية فى تفكك هذا الإقتصاد لأنه سبب عملية تحول لنمط الحياة من خلال حاجات يتعلق إشباعها بسلع منتجة فى الخارج ، كما صار عامل تتبيع لعناصر لا يمكن تتبيعها بالنظام المسيطر(٢) .

ويستقصى بنى صدر عناصر تتبيع الاقتصاد الإيرانى متطرقا إلى النفقات العسكرية باعتبارها القوة المحركة لتبعية الجيش والإقتصاد الإيرانى ، فالأسلحة المتقدمة لا يمكن صناعتها فى إيران كذلك فإن صيانتها وقطع غيارها ترتبط بالاقتصاديات الصناعية المسيطرة وبذلك صارت إيران هى الصيد المضمون للولايات المتحدة فهى تجبر الإيرانيين على دفع ثمن التسليح الراقى ولا تحرم البلد

---

(١) المرجع السابق ص ١٣٣
(٢) « « ص ١٣

ثرواته فقط بل وترابط جيشه بها وتجعله فى تناقض تام مع الشعب[١] وبوجود نقص فى استقلالية الجيش فإن عليه إما تعجل عملية الإلحاق وإما أن يلجأ إلى تغيير شامل وهذا لا يعنى إلا شيئاً واحداً هو بناء الجيش الشعبى[٢] .

ويحاول بنى صدر أن يطرح الحلول الماثلة للخروج من الأزمة فى إطار نظام الشاه ويلخصها فى ثلاثة حلول هى : تطوير نظام الشاه باتجاه توسيع الحريات فى إطار استراتيجية الولايات المتحدة ، أو قيام حكومة عسكرية تضمن استمرارية نظام الشاه أو انقلاب عسكرى يزيح الشاه عن المسرح السياسى، ويؤكد أن الحل الأول غير ممكن دون مشاركة الشعب ، وأن الحل الثانى هو الحل القائم بالفعل ، أما فكرة الحل بالانقلاب العسكرى فتخضع إلى ثلاثة احتمالات الأول طرد الشاه مع البقاء تحت سيطرة الولايات المتحدة ، والثانى طرد الشاه مع التخلص من سيطرة الولايات المتحدة ، والثالث طرد الشاه مع الاستناد إلى الاتحاد السوفيتى (ويرجح بنى صدر أن الحركة التى اجتاحت البلاد سوف تؤدى بالشاه مع إقامة سد أمام تدخلات القوتين الأعظم[٣] .

أما المأزق الاجتماعى الذى يرى بنى صدر أن نظام الشاه قد وقع فيه هو انفصال الجيل الشاب عن ارتباطه مع الحقيقة الاجتماعية الشاملة بالاضافة إلى الحرمان من كل نشاط مهنى وفكرى والقلق على مستقبله المظلم والأمل فى الاسلام والثورة ثم إن تركيز كل السلطات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأيديولوجية فى شخص الشاه لم يترك له رصيداً إيجابيا ، بل خلق مأزقا أيديولوجيا للنظام ، ويرى بنى صدر أن الخروج من هذه المآزق لن يتيسر إلا بسقوط نظام الشاه وإقامة الجمهورية الاسلامية القائمة على الوحدة القومية التى يعبر عنها الاسلام وتطبيق

---

(١) نفسه ص ١٩ — ٢٠

(٢) نفسه ص ٢٧

(٣) نفسه ٣٢ — ٣٥

برنامج توسيع الحريات وإلغاء علاقات التبعية العضوية والاتجاه نحو الاستقلال التام لايران والتقدم(١).

وقد حاول بنى صدر أن يحذر من الوقوع فى سلبيات الحكم الاسلامى بالبحث عن أسس مشتركة فى المجتمع من النواحى السياسية والاقتصادية والاجتماعية أى عن وضع طبقى أو طائفى عن طريق معرفة التجمع الاقتصادي لإقتصاديات العالم المعاصر الذى هو فى خدمة تكتلات القوى بل يجب تحطيم العلاقه مع هذه التكتلات فإذا أردنا أن نخطط لحكومة إسلامية فى إيران ينبغى أن ندرس الجماعات والديناميكيات المجمعة للسلطة وكيفية ونوع علاقتها بجماعات تجميع القوى فى العالم فهذه العلاقات سلبية ولا ينبغى أن تكون. بل يجب أن تقوم الحكومة الإسلامية بحذف هذه السلبيات على أساس المبدأ الأول وهو التوحيد والمبدأ الثانى وهو الرسالة المحمدية والمبدأ الثالث وهو الإمامة، ثم خط الحركة وهو العدل ووجهة الحركة وهى المعاد، وعلى هذا فإن الحكومة الإسلامية ينبغى أن تكون أجهزتها ومؤسساتها متناسبة من أجل قطع الطريق على مراكز القوى وإخراجها عن نفوذها والقضاء على عملاء هذه المراكز وإبعادهم(٢).

وقد أكد بنى صدر على أن الحكومة الإسلامية حكومة عقيدة وليست حكومة على العقيدة كما هو واقع فى هذا النظام (الملكى) وهكذا كانت خلال عصور التاريخ بمعنى أن جماعة تصل إلى السلطة باسم العقيدة ثم تجعل من العقيدة سلاحا لها بعد ذلك وتمسخها، أما فى الحكومة الإسلامية فإن قواعد ومقررات النظام الإسلامى هى التى تحدد أعمال الإمام أى أن الحكومة الإسلامية هى منفذة للعقيدة وتابعة لها وليست حاكمة عليها كما أن العقيدة ليست سلاحا فى خدمة السلطة بل إن الحكومة ينبغى أن تكون هى أداة العقيدة كما ينبغى أن تتضح

---

(١) نفسه ص ٣٧ — ٣٨

(٢) بنى صدر: قواعد الحكم الإسلامى وضوابطه، صحيفة كيهان العدد ٦٤١٠.

العقيدة الإسلامية من خــلال عمل الحكومة بحيث يزول الفرق بين النظرية والتطبيق[١] .

كما أن الحكومة الإسلامية ينبغى أن تحارب مبدأ الفردية وتتخذ الإجراءات التى من شأنها منع احتكار السلطة فى اتخاذ القرار بغض النظر عن أن يكون المحتكر ملكا أو رئيس جمهورية أو وزارة بحيث يصبح المجتمع فى شكل آلة يكمل كل جزء فيها الجزء الآخر لا أن يكون وسيلة لتنفيذ قرارات الحكومة ، وعلى هذا فإن الحكومة الإسلامية لا ينبغى لها أن ترفع شعار الغاية تبرر الوسيلة لإن هذا منطق الاستبداد فى السلطة فى حين ينبغى أن تتناسب فروع الحكومة الإسلامية ـ أى الوسائل التى تستخدمها لتحقيق أهدافها ـ مع الأهداف[٢] .

ويطرح بنى صدر مبدأ حرية التعبير والنقد والتقويم كأساس من أسس المجتمع فى الحكم الإسلامى مؤكداً على ضرورة وجود كل وسائل النقد والتقويم فى المجتمع من أجل إحياء مبدأ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لأن الحكومة الإسلامية لا ينبغى أن تخشى النقد بل ترحب به وتوفر له إمكانيات الظهور والاستمرار[٣] .

ويرى بنى صدر ضرورة إتخاذ الإحتياطات الكفيلة بمنع الحكومة فى النظام الإسلامى من أن تكون وسيله للسلطة أو قوة مسلطة على المجتمع تعمل على إيذائه ، وأنه ينبغى التحرك لا من أجل إلغاء الحكومة من اليوم الأول وإنما لإستبدالها تدريجيا بالإمامة لأن إعادة الحكم للفطرة يعنى الإمامة ، وعلى هذا ينبغى السير فى طريق العودة إلى الإمامة الفطرية ، ويؤكد بنى صدر أن كل شخص ينبغى أن يشارك فى أدارة الأمور من خلال هذه الأسس وإذا شارك الناس فى إدارة الأمور فلن تكون هناك حاجة لأن يجمع أحد كل السلطات فى يده[٤] .

---

(١) المرجع السابق
(٢) نفسه
(٣) نفسه
(٤) نفسه

وقد ركز بنى صدر فى نظريته الإسلامية على العمل مؤكد أن الإسلام لا يعتبر رأس المال أساسا ، وإنما يستند إلى أساس العمل وأن مبدأ الاجتهاد هو واجهة الإسلام فإذا كان الاستقلال أساس النمو ، والنمو لا يتنافى مع الاستفادة من منجزات الآخرين فإن الاجتهاد هو الذى يخلق الابتكار ، والابتكار هو أساس النمو ، وهو ما ينبغى أن يكون بحيث لا يمنع من الاستفادة من مبتكرات الآخرين وبحيث يكون من واجبات الحكومة الإسلامية إظهار طاقة الابتكار فى المجتمع(١) .

وأكد بنى صدر أن حل كل المشاكل الاجتماعيه ينبع أساسا من الحفاظ على الحقوق والواجبات للافراد بمنأى عن تلاعب السلطة وأن المجتمع الثورى لا يستقيم ما لم تحذف مراكز القوى الاقتصادية والإجتماعية والثقافية والسياسية من ضوابطه بمعنى أن يكفل الضمان الاجتماعى للفرد حريته منذ ولادته حتى مماته(٢) .

ويرجح الدارس أن يكون الدكتور أبو الحسن بنى صدر هو المخطط الحقيقى للثورة والنظام لعدة أسباب مرجحة بالإضافة إلى وجود الإستعداد الذاتى لديه لذلك ، وهذه الأسباب هى :

١ ـ أن بنى صدر أكد مراراً أن لديه برنامجا عمليا لإقامة حكومة إسلامية وأن هذا البرنامج فيه من الأسس والضوابط ما يكفل استمرار هذه الحكومة وتحقيق أهدافها .

٢ ـ بقاء بنى صدر دائما بجانب الخمينى فى باريس قبل قيام الثورة وفى طهران وقم بعدها ، ثم رئاسته لمجلس الثورة السرى ، ثم تعيينه مستشاراً اقتصادياً للحكومة المؤقتة .

---

(١) صحيفة كيهان العدد ١٠٦٥١ بتاريخ ١٢ إسفند سنة ١٣٥٧ هـ . ش

(٢) صحيفة كيهان العدد ١٠٦٦٣ بتاريخ ٢٦ إسفند سنة ١٣٥٧ هـ . ش

٣ — مساعدة الخمينى لبنى صدر حتى تولى رئاسة الجمهورية رغم أنه لم يكن أقوى المرشحين .

٤ — تحقق كثير من الأفكار التى عرضها بنى صدر فى كتبه بعد قيام الثورة مثل تدرج شكل السلطة ، وجود الحرس الثورى ولجانه ، فكرة الجيش الشعبى ، قطع خطوط العلاقات مع الولايات المتحدة الأمريكية، تفكيك الأجهزة التنفيذية ، إعلان إمامة الخمينى ، الوقوف فى وجه تملك رجال الدين السلطة بعد نجاح الحزب الجمهورى الإسلامى فى الحصول على أغلبية البرلمان وهو حزب رجال الدين ، الإستناد فى كل شيء إلى الأجيال الشابة .

٥ — بعد عزله عن الرئاسة وهروبه إلى باريس لم يهاجم الحكم الإسلامى فى إيران ولا أسسه وضوابطه وإنما هاجم الاتجاه للعنف وذلك على عكس بقية الهاربين من السلطة فى إيران .

ويمكن للدارس من خلال تتبع خطوات بنى صدر فى تطبيق نظريته فى الحكم أن يدرك أرجحية هذا الرأى حيث يلاحظ الدارس أن بنى صدر كان يلازم الخمينى باعتباره إمامه وشيخه بشكل يزيل من الأذهان مجرد التفكير فى أن يختلفا ويفترقا يوما من الايام ، كذلك كان الخمينى يؤمن به إيماناً جعله يمشى وراءه لا أمامه ويدفعه كلما رأى تردده أو عقبة تقف فى سبيله ، وكان من الطبيعى لهذا العالم السياسى المتدين أن يميل تجاه رجال الدين بحيث يجعل منهم حزبه وعونه فى تحقيق مخططه ، ولكن حال دون ذلك نظرة كل منهما للآخر فبنى صدر خطط للثورة بالمقادير والأسس التى اطمأن إليها وتأكد من جدواها واقتنع بها وأصبح ينظر إلى الثورة بالمبادىء التى رسمها نظرته إلى أبنائه بحيث لا يتصور أن يفرط فى أى منها ، كذلك فإن رجال الدين يستلهمون خطواتهم من الفكر الشيعى وهم أبناء مدرسة واحدة هى مدرسة المجلسى أستاذ زعيمهم الخمينى وذلك واضح فى أسلوب تكوينهم حزب الجمهورية الإسلامية ومبادئه

واختيارهم آية الله الخمينى زعيما ورائداً ، وعلى هذا فإن أفكار رجال الدين لا يمكن أن تتلاقى مع بنى صدر فى التطبيق وإن اتفقت معه فى الأهداف .

وقد ظهرت بوادر الخلاف بين الطرفين عندما أحس رجال الدين أنهم قد أصبحو قوة كبيرة فى البلاد وأن لهم ثقلا سياسيا لا يستهان به وأنهم استطاعوا الحصول على الأغلبية الساحقة فى مقاعد البرلمان ، وعندما أحس بنى صدر بهذه القوة حاول أن يتخطى بعض العقبات التى يمكن أن يثيرها رجال الدين فى سبيل تنفيذ مخططه حيث بادر فور انتخابه رئيساً للجمهورية إلى إخطار مجلس قيادة الثورة الذى يرأسه بعزمه على أن يشكل وزارة مؤقتة برئاسته لإدارة شئون البلاد حتى تستقر الأمور ، والواقع أنه لم يكن هناك داع لهذه العجلة فى تشكيل وزارة خاصة وأن انتخابات مجلس النواب الوطنى قد تحدد موعدها وبدأ الإعداد لها على قدم وساق إلا أن بنى صدر خشى من نتائج انتخابات مجلس النواب ودخول عناصر معارضة له تعوق مسيرته وبعد أن أحس انصرافا عنه من بعض أعضاء مجلس الثورة الأثنى عشر ، ولكن أعضاء هذا المجلس أقنعوه بالعدول عن هذه الفكرة فاضطر إلى تلبية رغبتهم والانصراف عن فكرة الوزارة المؤقتة(١) .

وقد حدث ما توقعه بنى صدر من انتخابات المجلس النيابى حيث حصل رجال الدين المتطرفين على أغلبية ساحقة فى مقاعد البرلمان وقد استغلوا كل نفوذ لهم بصورة شرعية وغير شرعية للوصول إلى هذه النتيجة فقد تمكنوا من إبعاد معظم الزعماء فى الجبهات والجماعات السياسية الأخرى عن المجلس النيابى وبكل الوسائل الممكنة ، وعلى سبيل المثال أبعدوا كريم سنجابى زعيم الجبهة الوطنية عن دخول الإنتخابات عندما قرر أن يخوضها فى مسقط رأسه كرمانشاه ليتأكد فوزه ، وقد أبعد باستصدار قرار من لجنة الانتخابات بوضع حد لسن المرشحين

---

(١) صحيفة دنياى إيران العدد ٣٣ بتاريخ ٢١ ارديبهشت سنة ١٣٥٩ هـ . ش

فلم يستطع سنجابى الإشتراك فى هذه الإنتخابات لأنه تجاوز الخامسة والسبعين من عمره[١] كذلك أبطلت نتائج انتخابات الدوائر التى ظهر واضحا فيها فوز زعماء منظمة مجاهدى خلق سواء مسعود رجوى زعيمها فى طهران أو باقى زعمائها فى بندرلنكة ومسجد سليمان وكرمانشاه وغيرها ، بالإضافة إلى الدوائر التى كان أنصار بنى صدر مرشحيها إما باستخدام عدد من « جماقدران » البلطجية لإفساد سير الإنتخابات أو لأخطاء متعددة من لجان فرز الأصوات وهذه اللجان كانت موالية لرجال الدين حيث كان الإشراف على الإنتخابات تحت سيطرتهم. وإزاء هذا النجاح الذى حققه رجال الدين فى الإنتخابات وبالنظر إلى الأساليب التى اتبعوها سارع بنى صدر فى الحصول على موافقة « الإمام الخمينى » على ثلاثة امتيازات له باعتباره رئيساً للجمهورية هى اختيار رئيس الوزراء بموافقة الإمام ، قيادة القوات المسلحة الإيرانية ، وإلزام أجهزة الإعلام بسياسة الثورة الاسلامية[٢] . كما بادر بتعيين أحد أنصاره وهو محمد تقى فراهى مديراً للاذاعة والتليفزيون[٣] .

وفور انعقاد مجلس النواب أثيرت مسألة تعيين رئيس للوزراء وبدأ الخلاف يظهر بوضوح بين حزب الجمهورية الإسلامية الذى يمثل رجال الدين وبين بنى صدر رئيس الجمهورية فقد رفض مجلس النواب بأغلبية حزب الجمهورية كافة مرشحى رئيس الجمهورية لشغل منصب رئيس الوزراء رغم أنهم كانوا أكفاء لهذا المنصب مثل الدكتور حسن حبيبى ، والمهندس عزت الله سحابى والدكتور صادق طباطبائى ومصطفى مير سليم ، وقد أعلن حزب الجمهورية الاسلامية موقفه من هذه المسألة وشروطه التى يطلبها فى رئيس الوزراء وهى : أن يختاره أعضاء مجلس النواب ، أن يكون شخصا ملتزما بمدرسة الحزب ، خبيراً ثوريا لديه

---

(١) صحيفة دنياى إيران العدد ٣٤ بتاريخ ٢٣ ارديبهشت سنة ١٣٥٩ هـ . ش

(٢) صحيفة انقلاب آسلامى العدد ٢٥١ بتاريخ ٢٠ ارديبهشت سنة ١٣٥٩ هـ . ش

(٣) صحيفة انقلاب اسلامى العدد ٢٥٥ بتاريخ ٢٤ ارديبهشت سنة ١٣٥٩ هـ . ش

القدرة على القيام بمهام هذا المنصب على اعتبار أنه واجب ديني ، وأن يختار وزراءه على هذا الأساس لا على أساس العلاقات والروابط ، أن يلتزم بالدستور وخصوصا مبدأ ولاية الفقيه ويلتزم به التزاما عمليا ، أن يكون ملتزما بالاسلام وأحكامه ويشهد على ذلك ماضيه وأعماله وحياته ، أن يكون حازما بالاسلام غير قابل للتفاهم مع الأطراف الأخرى ، وأن تكون سياسته الخارجية إسلامية حيادية لا شرقية ولا غربية ، وبعد هذا كله يكون تأييد الحزب له تأييدا غير مطلق حتى لا ينحرف بعد ذلك عن خط الثورة(١) .

وقد رد بني صدر على شروط حزب الجمهورية الاسلامية بإعلان شروطه أيضا في رئيس الوزراء مبرراً حسن اختياره لمرشحيه فأكد ضرورة أن يكون رئيس الوزراء مظهراً للتفاهم والتنسيق بين النواب ورئيس الجمهورية ، وأن يكون موضع تأييد الإمام فإذا لم يكن رئيس الوزراء يتمتع بموافقة الأطراف الثلاثة فإنه لن يستطيع حل المشكلات بسهولة أو أن يحقق الهدف والاستقرار في المجتمع ، كما ينبغي أن تكون له شعبية كبيرة بين الناس فرئيس الوزراء الذي تؤيده جماعة واحدة من المجتمع لا يستطيع تحقيق الهدوء والاستقرار للبلاد ، كما ينبغي أن يكون رجلا معقولا متفاهما ومنسقا وخبيراً في الادارة ولا يكل أو يتعب(٢) .

وقد تصاعدت حدة الخلاف بين الجانبين عندما اختار حزب الجمهورية الاسلامية محمد على رجائي رئيسا للوزراء ، ورغم أن هذا الاختيار لم يعجب بني صدر إلا أن الحزب استطاع أن يحصل على موافقة للخميني عليه فأصبح الاختيار شرعيا رغم تجاوز حقوق رئيس الجمهورية ، والواقع أن الخميني بهذه الصورة لم يكن الفقيه العاقل لأنه كان قد أعطى حق اختيار رئيس الوزراء من

(١) صحيفة ، مداد العدد ٢٩٣ بتاريخ ٦ خرداد سنة ١٣٥٩ هـ . ش

(٢) صحيفة كيهان العدد ١٠٩٩٢ بتاريخ ٢٠ ارديبهشت سنة ١٣٥٩ هـ. ش .

قيل لبني صدر إلا أنه لم يستطع أن يصمد أمام ضغوط رجال الدين ، فلم يستطع أن يوازن بين القوتين ويصر على حقوق كل منهما ، أو يرسي القواعد التي وضعت للحكم والسياسة ، وربما أزعج هذا التصرف من جانب الخميني بني صدر مما جعله يفقد الثقة في الزعامة الدينية ويهاجمها علنا متجنبا ذكر إسم الخميني حتى لا يثير غضب العامه عليه أو يسقط رمز الثورة الاسلامية التي تعب في بنائها ، فكثيراً ما كان يرد قوله : إن المجتمع الذي يرى الدكتاتورية محبوبة أو أمرا عاديا هو مجتمع مريض وغريب عن نفسه ، فإذا سعى هذا المجتمع لازالة دكتاتورية أخرى محبوبة فهو مجتمع مريض لأن مبدأ الدكتاتورية مرض ، كما أن الفساد يبدأ عندما تفكر السلطة الحاكمة في تصفية معارضيها بدلا من أن توجد معهم سبيلا للتفاهم والحوار يجذبهم به إليها(١) .

وأخذ الصراع بين رجال الدين ويمثلهم حزب الجمهورية وبين بني صدر وأنصاره يشتد ويتخذ أساليب متنوعه ، ونظرا للنفوذ الذي حققه رجال الدين كان من السهل عليهم أن ينالوا من بني صدر فاتهموه بأنه قائد متردد تسبب في خسائر المعارك التي دارت بين إيران والعراق ، كما اتهموه بعدم الكفاءة في إدارة شئون البلاد ، وعرضوا على مجلس النواب اقتراحا بسحب الثقة منه كرئيس للجمهورية وقد وافق المجلس على سحب الثقة منه بأغلبيه حزب الجمهوريه ، ومن العجيب أن يوافق الخميني ويصدق على قرار مجلس النواب بعزل بني صدر عن رئاسه الجمهورية .

وإزاء ضغوط رجال الدين كان على بني صدر أن يلجأ إلى حزب قوي يستطيع بمساعدته الوقوف في وجه رجال الدين ، وقد طلب المساعدة من منظمه مجاهدي خلق التي لبت طلبه على الفور ، ولعل بني صدر قد فكر في اختيار هذه المنظمة لمساعدته بل لعله درس إمكانياتها وثقلها السياسي والعسكري ، كما بدأ منذ فترة يقيم الجسور بينه وبينها رغم أنه كان يعلن صراحة من قبل عداءه للماركسيين

(١) صحيفة كيهان العدد ١١٠١١ بتاريخ ١٢ خرداد سنة ١٣٥٩ هـ . ش

وعدم ثقته فى اليساريين بصفة عامة ، وكان يردد قوله : منذ الثورة النيابية وحتى اليوم استخدم الماركسيين للعمل ضد الشعب ، إنهم أولئك الذين يصدقون أنفسهم ويعتقدون أن بإمكانهم ممارسة حرية البيان فى هذه الجمهورية والاشتراك فى الندوات المفتوحة والإدلاء بأصواتهم فى الاستفتاءات ، وهذه الجمهورية هى جمهورية الكادحين وإن رفع السلاح فى وجه الحكومة هو خدمة لأعدائنا الذين أسقطوا من قبل حكوماتنا الثورية[١] .

وقد كان من الواضح سلوك هذه المنظمة وإتجاهها اليسارى حتى أنها ترفع لها شعارا يحمل المنجل والمطرقة ، ويبدو أن ما جعل بنى صدر يقدر هذه المنظمه اليساريه بالذات أنها كانت ملتزمة بالثورة وغير متواطئة مع الجماعات الماركسية الأخرى فى سياستها لتدعيم نفسها على حساب الثورة كما فعلت باقى الجماعات حتى الجماعات الدينية أيضا ، بل لقد كانت هذه المنظمه كما تشهد الوقائع التى كانت طرفا فيها مخلصه للثورة أشد الإخلاص ، ولا تستوحى سياستها من التبعيه للاتحاد السوفيتى ولا الصين الشيوعية ، بل إنها كانت على خلاف دائم مع حزب تودة وكانت تهاجمه بشدة وتصفه بالإنتهازية ، وقد شهدت صفحات صحيفه كار الناطقة بلسان المنظمه مقالات وتحقيقات تثبت تورط حزب توده فى الخيانه والإنتهازيه[٢] . ورغم أن حزب توده كان يمالئ : منظمه مجاهدى خلق أحيانا فى مقالاته عنها علي صفحات جريدته مردم[٣] إلا أنه كان أحيانا ما يرد عليها بعنف أيضا من خلال هذه الصحيفه[٤] .

وقد بدأ أول اتصال حقيقى بين منظمه مجاهدى خلق وبين بنى صدر إبان مشكلة كردستان وتركمن صحرا عندما تمردت هذه القبائل على الحكومه المركزية

---

(١) صحيفه جمهورى اسلامى العدد ٢٧٨ بتاريخ ٢٧ ارديبهشت سنة ١٣٥٩ هـ . ش
(٢) صحيفة كار العدد ٥٨ بتاريخ ٣٠ ارديبهشت سنة ١٣٥٩ هـ . ش
(٣) صحفة مردم العدد ٢٣٧ بتاريخ ٢٨ ارديبهشت سنة ١٣٥٩ هـ . ش
(٤) صحيفة مردم العدد ٢٤٢ بتاريخ ٣ خرداد سنه ١٣٥٩ هـ . ش

بسبب بعض مواد الدستور الذى وضعته لجنة الخبراء لجمهورية إيران الإسلامية وأحست هذه القبائل أنها قد أضيرت بهذا الدستور وأنه لا يرعى مصالح الأقليات المذهبية والعنصرية ، وقد فشلت الحكومة فى إقامة حوار مع هذه القبائل التى لجأت إلى الكفاح المسلح ، وكانت الجماعات اليسارية تلعب دوراً كبيراً فى استمرار هذا التمرد حيث كانت تدعم القبائل بالأسلحة والمدربين والمقاتلين وكان من بين هذه الجماعات وأقواها « منظمة مجاهدى خلق » ، وقرر بنى صدر أن ينزل هذا الميدان بنفسه ونجح فى الإتصال بهذه المنظمة ودعوتها للتفاهم فوافقت على إقامة حوار معه . وقد تم أول لقاء من بنى صدر وزعيم منظمة مجاهدى خلق مسعود رجوى واستمر ساعتين من بعد ظهر الثلاثاء ٢٣ أرديبهشت سنة ١٣٥٩ هش [١٣ مايو سنة ١٩٨٠ م] ، وقد وعد فيه بنى صدر مسعود رجوى بإطلاق حرية عمال هذه المنظمة فى إطار منح الحريات التى وعد بها رئيس الجمهورية كافة الأحزاب والجماعات السياسية على أثر حصوله على الامتيازات الثلاثة التى طلبها من الإمام وهى اختيار رئيس الوزراء بموافقة الإمام وتولى قيادة القوات المسلحة وإلتزام أجهزة الإعلام بسياسة الثورة الإسلامية ، كما وعده بعدم تصفية عناصر المنظمة ما دامت ملتزمة بروح الثورة وقوانينها ، كذلك وعده بطلب إعادة النظر فى انتخابات الدور الأول لمجلس النواب فى الدوائر التى عومل أنصار المنظمة فيها معاملة قاسية وحيل دون نجاحهم رغم حصولهم على التأييد المطلق وأكد أن عدم حصول المنظمة على مقعد واحد فى البرلمان أمر غير معقول أو مقبول وأن تهديد بازرجان بالموت بسبب تمنيه لمسعود رجوى التوفيق فى فى الإنتخابات عمل مرفوض وقد وعده بنى صدر أيضا بعقد مؤتمر صحفى لتوضيح حرية كل جماعة فى الاشتراك فى الانتخابات وحث المسئولين على الالتزام بالحياد التام بين المرشحين(١) .

---

(١) صحيفة كيهان العدد ١٠٩٩٦ بتاريخ ٢٤ رديبهشت سنة ١٣٥٩ هـ . ش

ولعل الدارس هنا يقف متسائلا عن الأسس الفكرية لمنظمة مجاهدى الشعب التى أسسها الدكتور على شريعتى أستاذ علم الإجتماع بجامعة مشهد سابقا ، والواقع أن من يتتبع فكر الدكتور شريعتى يستطيع أن يدرك الأسس الفكرية التى قامت عليها هذه المنظمة ، وعلى شريعتى من أسرة متدينة عاش شبابه الاول حياة مستقرة وتزوج من سيدة فاضلة تدعى پوران وأنجب أبنه إحسان وأبنتين سوس وساراً إلا أن هذا الاستقرار لم يدم له حيث بدأت السلطات تضيق عليه لكونه من الأساتذة المستقلين فى التفكير ولم يتحمل هذا التضييق أكثر من ثلاث سنوات ما بين سنة ١٣٢٥ وسنة ١٣٢٨ هـ . ش [١٩٤٦ — ١٩٤٩ م] حيث عبر عن هذه السنوات فى حواشيه على كتاب غزليات شمس تبريزى ص ١٠٥ بقوله : كانت سنوات الضياع (١) حيث أقترب فيها من الرغبة فى الموت والتخلص من الحياة ولكنه أدرك فى النهاية أن الحياة أفضل من الموت وأن علية أن يكافح من أجلها وبدأ طريق الواجهة للنظام بأسلوب الأستاذ حيث اشترك مع زميليه هما يون وميناچى فى إنشاء مؤسسة تعليمية أسموها حسينيه إرشاد (٢) وبدأ من هناك يعلن فكره من خلال إطار أساسى حدده فى رسالة لابنه إحسان فى خمس نقاط هى : الإعتماد على القومية فى مواجهة الأمبريالية والاستعمار الأحمر والأسود ، الإعتماد على التاريخ والحضارة الوطنية فى مواجهة تسلط الحضارة الغربية ، الاعتماد على الإسلام فى مواجهة الأيديولوجيات الماركسية والمادية والمثالية والوجورية والتصوف الشرقى والفقر الهندى والزهد الأخلاقى المسيحى وكل الموجات والأيديولوجيات السابقة والحالية ، أتباع التشيع وخاصة التشيع العلوى من بين جميع الفرق والمذاهب الإسلامية ، مخالفة النظم الرأسمالية والشيوعية والدكتاتورية والتواكل والخرافات (٣) ولكن السلطات الحكومية لم تغفل عن نشاطه حيث تم أعتقاله سنة ١٣٣٦ هـ . ش سنة ١٩٥٧ م وخرج من المعتقل سنة ١٣٥٠ هش

(١) على شريعتى : باخاطبهاى آسشنا ص ١٠٠

(٢) المرجع السابق ص ١٢٤

(٣) نفسه ص ٩٦ — ٩٧

سنة ١٩٧١ م أكثر تصميما على مواصلة الكفاح (١) . ولكنه وجد صرح مؤسسة حسينيه ارشاد يتهاوى بعد أن أوقفت الحكومة نشاطها وعبثا حاول إعادتها كما كانت فقرر أن يقيم منظمة تخرج من إطار الدعوة والتوعية إلى ميدان الكفاح السياسي والعسكري حيث قرر إن أفضل ما يحققه بهذا المشروع هو تحويل الإسلام من كونه ثقافة إلى جعله أيديولوجية بين المثقفين ومن التقاليد الحتمية الموروثة إلى وعي ومسئولية في الوجدان العام (٢). ورفض ما طالبه به أبوه من الإستفادة بمبدأ التقية في محاربة نظام الشاه الشاه مؤكد أن ذل الشيعة وانحطاطهم يرجع إلى التقية أمام الحاكم والرياء أمام العامة (٣) . وأمام هذا الإصرار لم يجد النظـــام بدأ من نفيه حيث نفي في يوم الأثنين السادس والعشرين من شهر أرديبهشت سنة ١٣٥٦ هـ . ش سنة ١٩٧٧ م ولم يلبث أن فارق الحياة بعد ذلك بقليل (٤) وكان الدكتور على شريعتي يقول لأتباعه دائما : « إذا سمعتم أنى أستند على مذهب وأحب أن أوضح لكم أنى أستند إلى الإسلام ، أعتمد على إيماني ومسئوليتي الاجتماعية » (٥) حيث يرى شريعتي أنه يستطيع أن يكون مؤمنا متعصبا وفي نفس الوقت يدع وعيه الديني ومعرفته المذهبية تتكامل بصورة مستمرة (٦) . فالعـــلاقة بين الدين والتحضر في رأى شريعتي هي علاقة العلة بالمعلول ، فالتحضر هو ثورة في الفكر والمعرفة والتشخيص والأفق والتحليل وتقدير الحياة والمجتمع والعالم ويظهر في السلوك الإجتماعي والجبهة السياسية وحياة الأفراد (٧) . وعلى هذا فإن البناء الإجتماعي في نظر شريعتي ليس الأقتصاد ولا العقيدة ولا الإرادة ولا أى عنصر آخر على حده وإنما الأساس الاجتماعي لأى مجتمع هو عبارة عن أســـلوب تشكيل وكيفية تركيب مجموعة العناصر المادية

---

(١) نفسه ص ٤٩ (٢) نفسه ص ٢٠٩ .

(٣) نفس ص ١٣ (٤) نفسه ص ٤٦

(٥) على شريعتي : باز كشت به خويشتن ص ١١

(٦) المرجع السابق ٢٥٣

(٧) نفسه ص ١٤٢

والمعنوية التى كونت شخصية المجتمع ، فكما لا يمكن تقدير شخص من خلال مقدار ثروته أو نوع عمله أو شكل وظيفته أو دراسته أو ماضيه أو أصله أو عقيدته وإيمانه أو بيئته وإنما ينبغى دراسة مجموع هذه العوامل فى شكل كمى كيفى مركب وتحليلها حتى تتضح شخصيته فإن المجتمع كذلك (١) . ويرى شريعتى قبل الإعتقاد فى أية مدرسة اجتماعية وقبل طرح الخلافات الأيديولوجية فى أوساط المثقفين ينبغى إدراك أن هناك أسسا مشتركة للتوافق نحو الطريق والهدف وهى . أن كل مدرسة أو حركة تظل عقيمة طالما لم تستيقظ الجماهير أو لم يكن هناك وجدان اجتماعى واعى أولا ، ثم ينقذ الشعب نفسه بنفسه ثانيا ، وأن يكون فى يده مباشرة زعامة النهضة الإجتماعية ثالثا ، وأن الفقر ليس عامل التحرك والعصيان وإنما الإحساس بالفقر وأن الإنسان بإرادته ووعيه يستطيع أن يفرض إرادته على إرادة التاريخ (٢) . والواقع أن الدارس يشعر بالتقدير إزاء آراء وأفكار شريعتى لمباشرتها واستقامتها وإعتمادها على جوهر الإسلام الحنيف فشريعتى لا يفرق بين المثقف الرجعى والمثقف اليسارى باعتبار أن هذا يقلد المفكرين القدامى التقليديين وذاك يقلد فلاسفة أوربا التقدميين فالمثقف فى رأيه ليس بالحتم فيلسوفا أو عالما أو فنانا أو سياسيا أو جامعيا وإنما هو إنسان واع له أتجاه اجتماعى وإحساس بالإرتباط الجماعى والألتزام الإنسانى تجاه الجماعة (٣) ويطالب شريعتى بالعودة إلى الأصالة ويقصد بذلك العودة إلى الثقافة الإسلامية والأيديوجية الإسلامية باعتبار أن الإسلام ليس بتقليد أو وراثة أو نظام واعتقاد موجود فى المجتمع بل الإسلام كأيمان واعى (٤) . وإن كانت منظمة فدائى الشعب فدائى خلق تتصف بأفكار شريعتى يسارا إلا أن هذا لم يقلل من قيمتها وقدرها وكانت منظمة فدائى الخلق قد أصدرت فى العدد التاسع والخمسين من صحيفة كار الناطقة

---

(١) نفسه ص ٥٤

(٢) نفسه ص ٨٩ — ٩٠

(٣) نفسه ص ٢٣٠

(٤) نفسه ص ١٣

باسمها بيانا أعلنت فيه تأييدها للخميني وللجمهورية الإسلامية ورئيسها . والتزامها بالعمل على إعادة الهدوء والإستقرار فى البلاد وخاصة فى محافظة كردستان وأبدت المنظمة إستعدادها للتفاهم مع المسؤلين . (١) وقد حاول بنى صدر أن يعزز هذه العلاقة التى بدأت مع هذه المنظمة عندما صرح بقوله . فليأت مجاهد والخلق إلى الإذاعة والتليفزيون وليطرحوا آراءهم وسوف نسمع لهم ونقبل كلامهم ، ينبغى أن يتناقشوا معنا فنحن لانمنعهم وأنا أتعهد بمسئولية إعادة الهدوء والإستقرار بشرط ألا يتدخلوا فى عملى وألا يلجأوا إلى العنف . (٢) وكان من الواضح أن العلاقة قد توثقت بين الرئيس بنى صدر ومنظمة مجاهدى الخلق بزعامة مسعود رجوى وقد أشارت الصحف إلى كثرة تردد رجوى على مكتب رئيس الجمهورية لدرجة أن تردد فى الأوساط السياسية أن أحد أسباب سحب الثقة من بنى صدر كرئيس للجمهورية هو علاقته بمسعود رجوى ، ولكن بنى صدر - فى رأيى - كان يدرك أن رجال الدين يدبرون لإبعاده وكان عليه أن يستعين بحلفاء جدد أطمأنوا له وأطمأن لهم . وتلاقت أفكار الطرفين على أن تؤيد المنظمة بنى صدر كزعيم شرعى للثورة له حق الطاعة والولاء ، على أن يطلق بنى صدر يد المنظمة فى تطهير إيران من أعداء الثورة وقد تمكنت هذه المنظمة من مساعدة بنى صدر على الخروج من إيران والذهاب إلى باريس ليبدا من هناك مرحلة جديدة فى التخطيط الثورى ، كما تمكنت المنظمة من اغتيال عدد كبير من زعماء رجال الدين والشخصيات التى عادت بنى صدر وعاقت مسيرته مثل سكرتير عام حزب الجمهورية الإسلامى حجة الإسلام محمد بهشتى ورئيس الجمهورية محمد على رجائى ورئيس الوزراء محمد جواد باهنر ورئيس الأركان وعدد كبير من الوزراء وأعضاء البرلمان وكبار الشخصيات فى حزب الجمهورية الإسلاميه . كما عاد بنى صدر يطالب بتوحيد كافة قوى الثورة الإسلامية من جديد لإصلاح الأوضاع فى إيران ، وقد

---

(١) صحيفا [illegible] ٥٩ بتاريخ ٣١ ارديبهشت سنة ١٣٥٩ هـ ش

(٢) صحيفة كيهان العدد ١١٠١١ بتاريخ ١٢ خرداد سنة ١٣٥٩ هـ ش

برر هذه الأغتيالات بأن سياسة العنف التى ينتهجها الحزب الحاكم الآن هى التى أدت إلى مزيد من العنف ، ومازال الصراع قائماً على أشده بين حزب الجمهورية الإسلامية ومنظمة فدائى الخلق المؤيدة لبنى صدر . وتبقى أسئلة تطرح نفسها الآن وهى . إلى أين تمضى ثورة إيران الإسلامية ؟ ومن من القوى المتصارعة سيحقق الأنتصار الحاسم ؟ ومامصير فكرة ولاية الفقيه الشيعية ؟

وفى النهاية نود أن نشير إلى أننا قد حرصنا على الاكتفاء بإبراز نظريتى آية الله العظمى الخمينى والدكتور أبى الحسن بنى صدر فى الحكم والإدارة دون غيرها لأن كلا منهما تقدم لنا فكرا إيرانيا خالصا ينبع من خلال تجارب تاريخ إيران والعالم الإسلامى بصفة عامة وفى إطار مقبول من الأصالة والثورية ، فى حين أن نظريات باقى الجبهات التى اشتركت فى الثورة تنبع أساسا إما نتيجة التأثر بالفكر الغربى مثل نظرية الجبهة الوطنية ونظريات الليبراليين والعلمانيين ، وإمانتيجه التأثر بالفكر الشيوعى سواء الماركسى اللينينى أو الماوى مثل نظريات حزب توده وبعض الجماعات اليساريه الأخرى ورغم أن هذه الجبهات والأحزاب والجماعات قد شاركت فى صنع الثورة إلا انها لم تقدم جديدا إيجابيا ، كما انها لم تلق من الشعبيه مايجعل لها قدما راسخة فى نظام الحكم الذى سيطر على إيرن عقب قيام الثورة .

— الثورة فى رأى مخالفيها —

قال الشاه محمد رضا بهلوى فى حديث صحفى له مع مجلة أكتوبر المصرية قبل وفاته بأيام : إن الأوضاع القائمة إذا بقيت على ما هى عليه من فوضى وانحلال فلن يفلح الوطنيون المخلصون فى القيام بعمل مضاد لأن إيران سوف تصبح دولة شيوعية بسرعة مذهلة ، والذى نراه فى إيران الآن ليس نظاما ففى إيران الآن بطالة تبلغ أربعة ملايين نسمة ، وقد أكلت الحكومة ـ إن كانت هناك حكومة ـ كل الاحتياطى الذى تركناه وراءناوهم الآن يحصلون على الأموال بأى شكل ويرغمون الناس على دفع الضرائب ، وفى إيران أناس كثيرون غير قادرين على دفع الضرائب ولذلك فالحكومة اقترضت من البنك المركزى عشرة آلاف مليون دولار وليس هناك إنتاج ، والتضخم بلغ ثلاثمائة فى المائة منذ تركنا البلاد ، هذا هو الوضع فى إيران فإيران لاتجد ماتأكله ولايستطيع أحد أن يطعمها أويسقيها فلامفر من الشيوعية ، لأن إيران بعيدة عن الدين وليس الدين هو هذه الجرائم اليومية التى ترتكب أو الدماء التى تراق أو السجون التى يتكدس فيها الأبرياء ، ثم إنهم يقولون دائما لشعبنا إنكم شعب من المتسولين الشحاذين التعساء بدلا من أن يقولوا لهم فى استطاعتكم أن تكونوا شعبا من الدرجة الأولى ، ومعنى ذلك أن الناس يجب أن ينتظروا طول الوقت لكى يلقوا إليهم بفتات الطعام حتى لايموتوا جوعا . وفى ذلك قتل للعامل وإهدار للموهبة ، كما أن رجال الدين ينهبون كل شىء وإن كانوا يخصون الذين يحاربون دفاعا عنهم ببعض المال والطعام والامتيازات . إن المفاعلات النووية أغلقوها والجسور أسقطوها ومحطات توليد الكهرباء عطلوها ، وكنت أنتج يوميا خمسة ملايين برميل من البترول واليوم ينتجون مليونا وأحدا فلادخل ولاضرائب ، ولذلك أعتقد أن الشعب الإيرانى يزحف الآن على بطنه نحو النظام الشيوعى فسوف يجد فى الشيوعية نظاما وطعاما وسوف يعمل الناس ويكون لهم أجر وسوف تتقدم البلاد ماديا على الأقل والناس

يصبحون عبيدا ولكنهم مثل نزلاء السجون سوف يجدون ماياً كلون ، لقد أراد الغرب مساعدة هذا النظام عن طريق بازرجان الذى هو عميل قديم لبريطانيا وأمريكا أو عميل لبريطانيا أكثر ، سوف تكون هناك انتخابات هزلية ، ولا أعتقد أن السيد بنى صدر سوف تكون له أغلبية وإنما ستكون الأغلبية للأحزاب الدينية ، الخمينى إنه شرير ، رجل متخلف يعيش فى عصر مضى وانقضى ما الخطأ فى أن يكون لدولة متماسكة عريقة جيش قوى وقد كان فى الإمكان عن طريق هذا الجيش إنقاذ الشرق الأوسط ، وأستطيع أن أقول لو كنت الآن فى إيران ماحدث شىء مما جرى فى أفغانستان وسيكون الدور على إيران نفسها وسوف يأتى ذلك من الداخل أى سوف تكون دعوة روسيا إلى احتلال إيران من داخل الفئات الإيرانية إذا لم يفعل الوطنيون شيئا فى داخل إيران فإما أن يقوم الوطنيون بثورة وإما أن تلقى الدولة بنفسها عند أقدام الشيوعيين أو فى أحضانهم إن تعطش الملايين للدم هو الذى جعلهم يلتفون حول الخمينى ويمشون ورأءه ويرتضون الهوان والعذاب على يديه ويقفون متفرجين على خراب البلاد دون أن يثوروا فقد حقق هذا الرجل لدى الجماهير رغبة دموية شريرة ، إن الرجل قد أصيب بجنون إنه ينكر كل تاريخ إيران الذى عمره ألفان وخمسمائة سنة (١).

وإذا كان البعض يرى فى حديث الشاه عن الثورة الإسلامية التى أطاحت به وبنظام حكمه تحاملا إلا أن الدارس لايستطيع أن يتجاهل هذا الحديث فمن الواضح أن الشاه يحاول فيه المقارنة بين ما كان يخطط له من إنجازات وما حققه بالفعل وبين مايحدث فى إيران على يد الثورة وهو واضح للعيان لايستطيع الشاه أن يبعد كثيراً عن واقعه وحقيقته ، وقد يرد على الشاه بأن عمر الثورة ليس كافيا بعد لتظهر إنجازاتها أو أنه يكفى الثورة أن حققت للانسان الإيرانى شيئا غاليا وهو الإحساس بالحرية الحقيقية بغض النظر عما يلاقيه من صعوبات فى الحياة وضيق فى العيش وعدم استقرار ، وعلى كل حال فإن من متممات البحث أن يعرض

---

(١) مجلة آكتوبر العدد ١٩٢ بتاريخ ٢٩ يولية سنة ١٩٨٠ م

الدارس كافة الآراء والمعطيات سواء كانت للثورة أمام عليها ولعلنا هنا نعرض لآراء الملكيين أو أنصار النظام الملكي التي لخصها الدكتور قمبيز آسيائي مفكرهم، ومستشار بختيار السياسي والأستاذ السابق في جامعة طهران في رسالته إلى أبناء وطنه « پيام به هموطنانم » التي جمع فيها كل المعلومات والبيانات التي استطاع جمعها حول زعماء الثورة الإسلامية من الكتب والصحف والمجلات والأحاديث الإذاعية والتليفزيونية سواء قبل الثورة أو بعدها، في داخل إيران أو في خارجها وتتلخص الآراء التي قدمها آسيائي في رسالته في نقد نظام الثورة الإسلامية فيما يلي .

١ — عدم كفاءة الخميني وتناقص آرائه حيث ساق الكاتب ماورد عن الخميني في صحافة العالم وخاصة ماورد في مجلة تايم الأمريكية التي نشرت عنه تحقيقا مطولا وأجرت معه حديثا صحفيا تحت عنوان « الخميني رجل العام » كشفت فيه عن نواحي ضعفه وقصوره وعدم تمكنه بل أظهرته في صورة السفاح المجنون (١) . مؤكدا أن الخميني الذي درس العلوم الدينية والمذهبية لا يدري شيئا عن الشئون السياسية والعلاقات الدوليه والنظم الاجتماعية وهو مع ذلك يؤكد أن الثورة قد أوجدت إطارا جديد المسائل الوطنية والعالمية بعد أن حطت المعادلات الدولية والمعايير الاجتماعية والسياسية التي بنيت عليها كافة الشئون في إيران، ويحاول آسيائي أن يوضح مايقصده الخميني بالإطار الجديد من خلال حديثه إلى أحد المراسلين : من الممكن أن اقتصاد البلاد لم ينتعش وأن الفقراء ظلوا علي حالهم وأن الجيش قد أصابه الضعف وأن النشاط المادي والسياسي ليس طبيعيا وأن الفوضى مازالت ماثلة في ايران الا أن الثورة لم تنهزم وأن الشعب قد تعود الثورة وأصبح الجميع طلاب أستشهاد واننا نحل جميع المشاكل من خلال منطق الاستشهاد، ويستشهد آسيائي بحديث للصحفي المصري محمد حسنين هيكل عبر فيه عن انطباعه بعد مقابلة له مع الخميني بقوله: الخميني رجل ينتمي الى أربعة عشر

---

(١) مجلة تايم بتاريخ ٣١ ديسمبر سنة ١٩٧٩ م

قرنا مضت اندفع فجأة وبسرعة الرصاص الى القرن العشرين والمشكلة الحقيقية فى أنه ما الأشياء التى سيحطمها فى طريقة ازاء هذا الإندفاع ، ان الخمينى لايعرف شيئا عن القضايا المعاصرة ولايلتى بالاالتقارير التى تقدم له من المسئولين الحكوميين والرسميين لأنه يعتقد أنة أدرك الحقيقة المطلقة بتقليده للإمام على بن أبى طالب ولاحاجة لأن يعرف القضايا المعاصرة. (١) ويحاول آسيائى أن يعرض نماذج من آراء الخمينى ومواقفه المتناقضة حيث يوازن بين تصريحين للخمينى فى كتاب واحدهما : إننا لانقول إن الشاه ينبغى أن يكون فقيها ولكن الشاه ينبغى أن يكون عسكريا بشرط ألايتخلف عن القانون الرسمى للبلاد ويقول فى الآخر : ينبغى أن يتشكل مجلس تأسيسى من الفقهاء ورجال الدين حتى تتزن مصالح البلاد باختيار الحاكم ويختار هذا المجلس ملكا عادلا مطيعا لقوانين البلاد التى هى نفسها القوانين الإلهية (٢) .

ويعرض آسيائى موقفا آخر حيث يقول الخمينى فى كتابه كشف الأسرار : لاينبغى أن ينشغل رجل الدين بعمل آخر غير شرح التوحيد والتقوى وتعليم القوانين السماوية وتهذيب الأخلاق الاجتماعية ، ثم يقول فى حديث له مع جماعات المعارضة فى باريس . أعلموا أن الحكم غير ممكن بدون رجال الدين وتعاليمهم وقال فى حديث له فى مدينة قم إن الذين يرون فصل الدين عن السياسة ويطلبون ألا يتدخل علماء الإسلام فى الشئون الإجتماعية والسياسية انماهم عملاء للاستعمار يرددون كلام الاستعمار والكفار (٣) ،

٢ — رفض الزعامة للاتجاهات المعارضة لرأيها : حيث ينقل آسيائى بعض تصريحات الخمينى والزعماء الآخرين التى تؤكد رفضهم لقبول مواقف أخرى معارضة لأفكارهم حيث يقول الخمينى ان من يتصورون أنهم مثقفون ويكتبون

---

(١) اميز آسيائى : بيام به هموطنانم ص ١١٣ — ١١٤ .

(٢) الخمينى : كشف الاسرار ص ٢٣٣ ، ٢٣٤

(٣) آسيائى : بيام به هموطنانم ص ١٣٦

فى الصحف ويكونون الجبهات السياسية ينبغى أن يتنحوا اننا لا تستطيع أن نترك لهم الحرية التى أعطيناها لهم من قبل ولانستطيع أن نترك هذه الأحزاب تستمر فى عملها ولانستطيع شرعا أن نمهلهم ولن نسمح بنشر كلامهم فى اية نشرة بالبلاد وسوف نمحوكافة كتاباتهم ، ان اولئك الذين قاطعوا الإستفتاء حول الجمهورية الإسلامية منافقون وسوف نعاملهم على هذا الأساس ونقمعهم ، وانا اوصيكم الاتجتمعوا مع مخالفيكم ولاتتحدثوا معهم ولا تنشروا لهم فإن تجراتم على ذلك فسوف امنعكم (١) . ثم يشير آصيائى الى انغلاق فكر الثورة مستشهدا بتصريح للخمينى يقول فيه: يقولون ان العقول تفر ،فليدعوا تلك العقول العفنة ولا تتحسروا عليها ، ينبغى ان تهرب هذه العقول وتجرى وراء المعانى التى تريدها ، لاينبغى ان نتأسف على تلك العقول التى فرت الى امريكا وانجلترا او التى اعدمت انها عفنة فلماذا تخطئون الإسلام ان هذه العقول ليس عقولا علمية ومن الأفضل أن تهرب فليس هنا مجال لها لتعيش وانتم ايضا اعلموا ان لم تشعروا ان مكانكم هنا فاهربوا انتم ايضا فالطريق مفتوح (٢) .

٣ — هدم الثورة لأصول الحضارة القديمة : ويستشهد آسيائى على ذلك من تصريحات زعماء الثورة وعلى راسهم الخمينى حيث ينقل حديثا له يقول فيه : لقد قلت دائما إن الموسيقى تخرب الفكر وتحدث حالة أرتخاء وتخدير أشبه بمفعول المخدرات وهى لاتنحرف بالعقل فقط بل تجلب النعاس إنهم يسممون شبابنا بالموسيقى حتى لايفكروا فى خطرهم ، أنا لاأعرف من يسمونهم باخ أو بتهوفن أو فيردى ولكن إذاكانت موسيقاهم مارشات أو أنا شيد حماسية فانا لاأخالفها . وقد منعت الإذاعة والتليفزيون الموسيقى فيما عدا نشيد قبلة الاستشهاد ، أناشيد فلسطين ، الخامس عشر من خرداد ، ماشابهها (٣) .

---

(١) المرجع السابق ص ١٣٨ — ١٣٩

(٢) نفسه ص ١٥١

(٣) نفسه ص ١٧٨

ويؤكد آسيائى أن الفن لايتعارض مع الإسلام فى كثير نواحيه ورغم ذلك لم تشهد إيران فى ظل الثورة الإسلامية أى أترقيم فى مجال الأدب أو الرسم أو النحت أو الموسيقى أو المسرح أو السينما أو أى فن آخر لأن الفنانين يواجهون صورا من الضغط تنفى أصل عملهم نفيا كاملا مما أوقعهم فى حيرة وإرتباك لم يمنعهم من المضى فى العمل الذى يفضلون فحسب بل عرضهم للتبعية العميقة (١) .

٤ — المحاكمات غير العادلة : يؤكد آسيائى أنه فى حين أعان الإمام على بن أبى طالب ضرورة تنحية القاضى الذى يخشى من انتقامه فإن المحاكمات السريعة التى تجرى لمعارضى النظام الثورى تتسم بالإنتقام حيث يقول الخمينى : إن هؤلاء الجناة الذين قبض عليهم ليسوا متهمين بل هم مجرمون ينبغى أن تثبت شخصيتهم فقط ثم نقتلهم فنحن نعتقد أن المجرم لايحاكم وينبغى قتله ولافائدة من الاستئناف وإعادة النظر فإن لم نقتلهم ستقتلهم الجماهير ، ويقول صادق خلخالى الذى تولى رئاسة المحاكم الثورية : إن حقوق الإنسان فى معظمها تخالف فى رأيى حقوق الإنسان لأن حق الإنسان يقتضى ضرورة القضاء على الإنسان الذى يضايق بقية الناس أو هدم بيت الثعبان أو القضاء على من يعوقون حرية البشر فإن الرحمة بهم تسبب الضرر للباقين (٢) .

٥ — الدكتاتورية فى الحكم : ويحاول آسيائى أن يستشهد على ذلك من تصريحات زعماء الثورة حيث ينقل مثلا رأى خلخالى فى قوله : يقولون إن الديمقراطية هى حكم الشعب للشعب ولكن ليس فى الإسلام حكم للشعب على الشعب ولكن حكم الله على الشعب لذلك لن نقبل حكم الشعب للشعب فهذه ديمقراطية حزبية تخلق الفوضى ولاينبغى أن يكون هناك أكثر من حزب بل نظام حزب واحد هو حزب الله زعيمة هو روح الله « الخمينى » ولانعرف شيئا

---

(١) نفسه ص ١٩١ نقلا عن حديث للدكتور پرويز ورجاوند وزير الثقافة فى حكومة الثورة فى صحيفة باحداد بتاريخ ١٨ تير سنة ١٣٥٨ هـ . ش

(٢) نفسه ص ١٩٦ — ١٩٨

غير هذا ، كذلك يدلل آسيائى على هذا من خلال تحذير بعض رجال الثورة من الأندفاع نحو الدكتاتورية مثل آية الله طالقانى ومهدى بازرجان (١) .

٦ — تقصب الدستور الثورى الجديد : حيث يؤكد آسيائى أن الدستور الجديد قد صيغ بشكل لايتناسب مع الظروف الإجتماعية والأقتصادية للمجتمع ولامع الحقوق الأساسية للشعب فى المرحلة التاريخية الحالية ، ولذلك فإن نظام الحكم النابع من مثل هذا الدستور لن يستطيع تلبية احتياجات الحكومة والشعب لإقرار النظام الذى يناسب التقدم العلمى المعاصر للمجتمعات البشرية أو السيادة الوطنية ولا أن يحفظ حقوق الشعب الضرورية لمجتمع حر متقدم لأن سلاح الدين قد استخدم فى تدوين هذا الدستور بشكل يحصر السلطة فى يد هيئة حاكمة جديدة ومتميزة (٢) .

على أن موجات النقد العنيف لم توجه الثورة من أنصار النظام الملكى فحسب بل إن عددا ممن شاركوا فى الثورة وتزعموا الحركة الثورية خرجوا من صفوف القيادة مثل الدكتور كريم سنجابى وانقلبوا مهاجمين للثورة سواء بقوا فى إيران أو فروا إلى باريس للالتحاق بمعارضى النظام ومنهم اللواء أحمد مدنى وزير الدفاع فى حكومة بازرجان ومحافظ خوز شان وقائد القوات البحرية الإيرانية والذى كان مرشحا لرئاسة الجمهورية ، الدكتور حسن نزيه نقيب المحامين ورئيس مجلس إدارة شركة البترول الوطنية فى عهد الثورة أحمد بنى أحمد زعيم الحزب الأشتراكى الديمقراطى هؤلاء الكبار وغيرهم من صغار القيادات هربوا إلى باريس وانضموا إلى بختيار والمعارضين ، أما مهدى بازرجان أول رئيس لوزراء إيران بعد الثورة ، آية الله العظمى قمى ، آية الله محمد صدوقى ، كريم سنجابى ، آية الله طالقانى حتى موته ، الدكتور سيد محمد حسين بهشتى ، آية الله العظمى شريعتمدارى الدكتور رضا صدر وزير التجارة فى حكومة بازرجان ،

---

(١) نفسه ص ٢٣٧

(٢) نفسه ص ٢٤٢

صادق قطب زاده وجماعة العلمانيين من رجال الثورة فقد انقلبوا معارضين للنظام بشكله الحالى منتقدين لتصرفاته وإن كانوا قد ظلوا فى ايران ولم يخرجوا منها وتعرض بعضهم للسجن مثل قطب زاده ، ورضا صدر وتتركز معارضتهم حول :

١ ــ تجاوزات اللجان الثورية حيث دأب الكثير من أعضاء اللجان الثورية على دخول منازل الأفراد بدون اذن قضائى والبض على بعض الأشخاص واعتقالهم دون مبرر ، ومصادرة ممتلكاتهم والاستيلاء على أموالهم بدون وجه حق وبتهم ملفقة لا دليل عليها اما بدافع الحقد أو الانتقام أو الطمع والسرقة (١) .

٢ ــ تعدد مراكز السلطة بين المجلس الثورى ورئاسة الجمهورية ورئاسه الوزارة والوزراء واللجان الثورية ومجلس الشورى وحزب الجمهورية الإسلامية ورجال الدين والجماعات المسلحة المتعددة المذاهب والانتماءات (٢) .

٣ -- المحاكمات السريعة للمتهمين بالتعامل مع النظام الملكى السابق أوهيئة الأمن والمعلومات [السافاك] عن طريق محاكم لاتتوفرفيها الجوانب القانونية أو الصلاحيات المناسبة او فرض الدفاع ولمجود الاشتباه والشكاوى الكيدية (٣) .

٤ ــ الدستور لايعبر عن مصالح جميع الإيرانيين ويتعصب لفئه دون بقية الفئات كما لايعطى الأقليات المذهبية أو العنصرية حقوقها ويساعد على اضطهادها (٤) .

٥ ــ اضطهاد الاتجاهات المتعارضه مع فكر النظام حتى لمن شاركوا فى قيام الثورة وتولوا زعامه الحركة الثورية (٥) .

---

(١) آية الله قمى : حديث لصحيفة كيهان العدد ١٠٦٤٢ بتاريخ أول اسفند سنة ١٣٥٧ هـ . ش

(٢) آيه الله صدوقى : حديث لصحيفة كيهان العدد ١٠٧٤٦ بتاريخ ١٠ تير سنة ١٣٥٨ هـ . ش

(٣) حسن نزيه حديث لصحيفة كيهان العدد ١٠٦٤٣ بتاريخ ٢ إسفند سنة ١٣٥٧ هـ . ش

(٤) حسن نزيه : المرجع السابق

(٥) سيد محمد حسين بهشتى : حديث لصحيفة كيهان العدد ١٠٦٥٤ بتاريخ ١٥ اسفند سنة ١٣٥٧ هـ . ش

ثبت بأسماء المراجع والمصادر

أولا : المراجع والمصادر الفارسية : —

١ — إبراهيم صفائي : آ يينه تاريخ طبع طهران سنة ١٣٥٣ هـ ش .

٢ — أبو الحسن بني صدر : أصول حكومت إسلامى وضوابط آن نشر صحيفة كيهان .

٣ — إحسان نراقي : آزادى حق وعدالت طبع طهران سنة ٢٥٣٦ ملكية .

٤ — أحمد كسروي تبريزي : تاريخ مشروطه إيران طبع طهران سنة ٢٥٣٦ ملكية ط١٢ .

٥ — باستاني باريزي : سياسة واقتصاد عصر صفوى طبع طهران سنة ١٣٤٨ هـ ش

٦ — ثابتيان . اسناد نامه هاى تاريخى واجتماعى دوره صفويه طبع طهران سنة ١٣٤٣ ش هـ.

٧ — حسين على ممتحن : راز بقاى تمدن وفرهنك إيران طبع طهران سنة ٢٥٣٥ ملكية .

٨ — خواند مير : حبيب السير فى أخبار أفراد البشر تحقيق محمد حسين كاشانى طبع بمباى سنة ١٨٥٨ م

٩ — روح الله الخميني : رسالة توضيح المسائل طبع قم

كشف الأسرار طبع قم

حكومت إسلامى طبع قم

١٠ — طهماسب صفوى : مذكرات طهماسب طبع كلكتا سنة ١٩١٢ م .

١١ — عزت الله بياتي : كليات تاريخ وتمدن إيران طبع طهران سنة ٢٥٣٥ ملكية

١٢ — على شريعتى : بازكشت به خويشتن طبع قم

بامخاطبهاى آشنا طبع قم

١٣ — قمبيز آسيائى : پيام به هموطنانم مجهول الطبع والنشر .

١٤ — كيرشمن : إيران آغازتا إسلام الترجمة الفارسية لمحمد معين طبع طهران سنة ٢٥٣٥ ملكية ط ع

١٥ — محمد جعفر نائينى : جامع جعفرى طبع طهران سنة ١٣٥٣ هـ ش

١٦ — محمد حسين بيهقى : تاريخ بيهقى تحقيق محمد غنى واكبر فياضى طبع طهران سنة ١٣٢٤ هـ.ش .

١٧ — محمد حسين طباطبائى : روابط إيران وغرب طبع سنة ١٣٥٦ هـ . ش

١٨ — محمدرضا بهلوى : بسوى تمدن بزرك طبع طهران .

رضا شاه كبير طبع طهران سنة ٢٥٣٥ ملكية

١٩ — محمد رضا مشاهى : تحولات فكرى واجتماعى درجا معه فئود إلى ايران . طبع ظهران سنة ١٣٦٤ هـ ش

٢٠ — محمد عبد الوهاب قزوينى : ياد داشتيهاى قزوينى تحقيق ايرج افشار . طبع طهران سنة ١٣٤١ هـ.ش .

٢١ — محمد على إمام شوشترى : تاريخ شهريارى وشاهنشاهى إيران . طبع طهران سنة ١٣٥٠ هـ.ش

٢٢ — مجهول المؤلف : عالم آراى صفوى — تحقيق يد الله شكرى . طبع طهران سنة ١٢٥٠ هـ.ش

٢٣ — منوجهر ثقفى : بديده هاى انقلاب . طبع طهران نة ٢٥٢٥ ملكية .

ثانيا : المراجع والمصادر العربية : —

١ — ابراهيم الدسوقى شتا : الثورة الإيرانية . طبع بيروت سنة ١٩٧٦ م

٢ — أبو الحسن بنى صدر : إيران وغربة السياسة والثروة الترجمة العربية لدار الكلمة . بيروت سنة ١٩٧٩ .

٣ — أحمد معوض : إيران المعاصرة . طبع القاهرة سنة ١٩٧٥ م

٤ — جاد طه : إيران وحتمية التاريخ . طبع القاهرة .

٥ — حسن ابراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسى، طبع القاهرة سنة ١٩٦٤ ط.ع

٦ — حسن بيرنيا : تاريخ إيران القديم الترجمة العربية محمد نور الدين والسباعى . طبع القاهرة سنة ١٩٧٩ م

٧ — حسين عدلى عبد اللطيف : الآثار الاستراتيجية لثورة إيران . طبع القاهرة صنة ١٩٨٠ م

٨ — دونالدولبر : إيران ماضيها وحاضرها الترجمة العربية لعبد النعيم حسنين . طبع القاهرة سنة ١٩٥٨م

٩ — روح الله الخمينى : الجهاد الأكبر . الترجمة العربيـــة لحسن حنفى طبع القاهرة .

١٠ — عبد السلام فهمى : تاريخ إيران السياسى . طبع القاهرة سنة ١٩٧٣ م

١١ — فؤاد عبد المعطى الصياد . مورخ المغول الكبير . طبع القاهرة سنة١٩٦٧م

١٢ - فتحى أبو سيف : المشرق الإسلامى بين التبعية والاستقلال ، طبع القاهرة سنة ١٩٧٨م .

١٣ — كريستنسن : إيران فى عهد الساسانيين الترجمة العربية ليحى الخشاب طبع القاهرة سنة ١٩٥٧ م

١٤ — محمد بن جرير الطبرى : تاريخ الرسل والملوك . طبع دار المعارف بالقاهرة

١٥ — محمد حسنين هيكل : إيران فوق بركان . طبع القاهرة سنة ١٩٥١ م

ثالثا : الصحف والمجلات : —

١ — صحيفة آيندكان الصادرة باللغة الفارسية فى طهران .

٢ — « اطلاعات « » » » »

٣ — « انقلاب إسلامى « » » » »

٤ — « بامداد « » » » »

٥ — « جمهورى إسلامى « » » » »

٦ — « دنياى إيران « » » » »

٧ — صحيفة رستاخيز الصادرة باللغة الفارسية فى طهران
٨ — « كار « « « « «
٩ — « كيهان « « « « «
١٠ — « مردم « « « « «
١١ — « الشرق الأوسط العربية « لندن
١٢ — مجلة أكتوبر « « « « القاهرة
١٣ — « روز اليوسف « « « « «
١٤ — « مايو « « « « «

فهرست


54
7
Bibliotheca Alexandrina
0180443